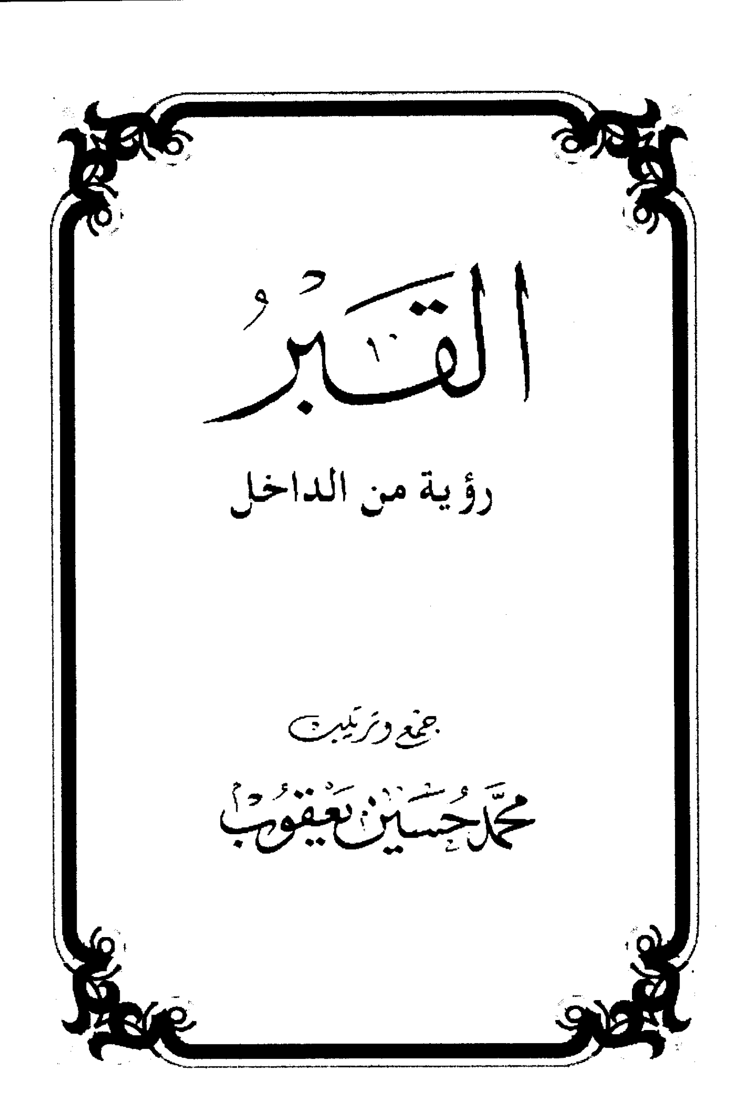
القَبْرُ

رؤية من الداخل

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١٩٥٧٨

دار التقوى
للنشر والتوزيع
شبرا الخيمة
ت: ٤٧١٥٥٠٦ - ٤٧٣١٨٢٤ - ٢٢٣١١٠٣



القبر

رؤية من الداخل

جمع وترتيب

محمد حسين يعقوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد للَّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

أما بعد :

إخوتاه ..

يقول ربي - وأحقُّ القولِ قولُ ربي - : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ

عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال اللّه تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧-٧٨].

وقال تبارك اسمه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١-٦٢].

وقال اللّه تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٩٣ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ٩٣-٩٤].

وقال رب العزة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين

مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥].

ويقول اللّه تعالىٰ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٩-٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

إخوتاه ..

قال الحسن البصري: يقال لأحدنا: أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ فيقول: بلىٰ. وكذب ورب الكعبة.

يا له من سؤال يحتاج إلىٰ يقين صادق قبل الإجابة:

هل أنت مؤمن بيوم الحساب؟

هل أنت علىٰ يقين من أنك ستموت؟

هل تعتقد أنَّ بعد الموت حسابًا؟

هل توقن أنَّ القبر روضة من الجنة أو حفرة من النار؟

هل تعتقد أنَّ ما تعمل سيكون جليسك في قبرك؟

هل تعتقد أنَّه إذا متَّ فليست هناك فرصة أخرىٰ لتصحيح الأوضاع؟

هل تعتقد؟ هل توقن؟ هل تظن؟ هل أنت متأكد؟

أسئلة كثيرة تحتاج إلىٰ وقفة قبل الإجابة ؛ لأنَّه بقولك : نعم ، سَتَرِدُ تساؤلات أكثر :

لماذا إذًا تعصي اللَّه؟

لماذا إذًا تظلم الناس؟

لماذا إذًا أنت مُكِبٌّ علىٰ الدنيا حريص عليها؟

لماذا إذًا لا تزيد طاعاتك؟

لماذا إذًا لا تعمل لهذا الغيب المهيب وهو منك قريب؟

لذا؛ كان هذا الكتاب علىٰ وجه الاختصار الشديد؛ إيمانًا بيوم الحساب، تذكرةً بيوم المعاد، إنذارًا قبل يوم الحسرة والندامة، قبل أن يندم العبد، ولات حين مندم.

وليس المقصود مجرد الكتابة، أو - لك - مجرد القراءة والتذكرة العابرة؛ بل هي دعوة للإصلاح، دعوة للرجوع قبل فوات الأوان، إنها دعوة للإسراع بالأعمال الصالحة، والمبادرة بفعل الخيرات، ولعل أول ما يكون من أثر لهذا الكتاب: رقة قبلك، ورغبتك في الآخرة، والإقلاع عن ذنوبك ومعاصيك، والانتباه من الغفلة، والزهادة في الدنيا، وجمع الهم بعد شتاته، والخوف من اللّٰه وحده بعد أنْ جربت الخوف من كل أحدٍ سواه تبارك وتعالىٰ.

أسأل اللّٰه تعالىٰ أن يجعل عملنا كله صالحًا، وأن يجعله لوجهه خالصًا، ولا يجعل فيه لأحد غيره شيئًا.

وأسأله ﷻ أن يرزقنا العمل بما علمنا، وأن يجعل

ما علمنا حجة لنا لا علينا ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وأسأله ﷻ أن يرزقنا حسن الخاتمة فلا يتوفانا إلا وهو راضٍ عنا غير غضبان .

وصلى اللّه وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله
والحمد رب العالمين

وكتبه
محمد بن حسين آل يعقوب
ليلة الاثنين : العاشر من جمادىٰ الآخرة ١٤٢٣هـ
١٦/٨/٢٠٠٢م

أخا الموت ، هل تصدق ؟!

إخوتاه ..

أما تصدقون؟! ستموتون والله، ذلك الحق الذي لا مرية فيه، وخبر الصدق الذي لا يتسرب إليه الشك، ولعله ليس بالخبر المفاجئ لكم، إنها رسالة ربانية تعرفونها من دنياكم الفانية، ولا أريد أن أفجعكم، ولكنها الحقيقة الراسخة رغم أنف كل معارض : الموت قادم . . حتم لازم .

ولم أرَ مثلَ الموت حقًّا كأنه إذَا ما تَخَطَّتْهُ الأماني باطلُ .

ستموتون والله . .

«**الموت**» . . . إنه قادم لا محالة .

«**الموت**» . . . إنه آتٍ ولا مرد له .

«**الموت**» . . . إنه يأتي بغتة .

«**الموت**» . . . لا يطرق بابك .

«**الموت**» . . . لا يستأذنك .

«**الموت**» . . . دَيْنٌ على كل أحد .

«**الموت**» . . . ساعتك وساعة كل أحد .

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُم دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأناملُ

فيا أخا الموت ..

ما لك أتعبت نفسك في كسب الحطام الفاني ، ولن يبقى لك ؟!

يا أخا الموت ..

سيسلبك الموت أثوابك ويمنعك مما تشتهي ، فما لك أفنيت بدنك من أجل متاع قليل ؟!

يا أخا الموت ..

هل لك من الموت من راق ؟! فما لك ؟! أتراك تفر منه أم أنه سيولي عنك ؟!

أما رأيته لا يعرف صغيرًا من كبير ، ولا غنيًا من فقير ، ولا قويًا من ضعيف ، ولا عزيزًا من ذليل ؟!

كم مِنْ عزيزٍ أذلَّ الموتُ مصرعَهُ كانَتْ على رأسِهِ الراياتُ تنخفِقُ

يا أخا الموت ..

قال الله : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

فلماذا أخلدت إلىٰ الأرض؟ هل علمت من نفسك أنك ستبقىٰ فيها؟ ألست ترىٰ المشيع ينعي كل يوم قريبًا أو صاحبًا؟ فلماذا لم تعد لذلك اليوم عدته؟

عَجَبًا لامرئ يرىٰ الأرضَ مثوا ... هُ وأقصىٰ مناه كَسْبُ الثراءِ

وكفىٰ المرءَ منذرًا بدنوِّ الموْ ... تِ فَقْدُ الأترابِ والقُرناء

يا أخا الموت ..

الموت قدر اللَّه، وقدر اللَّه حتم لازم، فهل تستطيع أن ترده؟

إنا نعلِّلُ بالدواءِ إذا مَرِضنا، ولكن هل يشفي من الموتِ الدواءُ؟

إنا نختارُ الطبيبَ إذا سقمنا، ولكن هل طبيبٌ يؤخرُ ما يقرهُ القضاءُ؟

يا أخا الموت ..

أنفاسُنا حسابٌ ، وحركتُنا إلىٰ فناءٍ .

إذا كان أمرُ اللَّهِ أمرًا يقدَّرُ فكيف يفرُّ المرءُ منه ويحذرُ ؟
ومن ذا يردُّ الموتَ أو يدفع القضا وضربتُهُ محتومةٌ ليس تعثرُ

يا أخا الموت ..

قف معي نتأمل هذا المشهد العظيم ، هذه اللحظة الرهيبة ، قف واسأل نفسك إلىٰ أين . . . ؟ وحتىٰ متىٰ . . ؟ قل لها : أما رأيتِ من بغتهم الموتُ ، كانوا مثلك لا يعتقدون أن قد آن أوانه ، فما لبثوا أن جاءهم فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ، فتوبي قبل أن تقولي : هل إلىٰ مردٍّ من سبيل ؟ فيقال : كلا ؛ جلس رسول اللَّه ﷺ علىٰ شفير قبر ، ولما يلحدْ ، وبيده عود ينكت به في الأرض ، ثم رفع رأسه إلىٰ أصحابه وقال : «**يا إخواني ، لمثلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**»(١) .

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء ، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٦٩) بإسنادٍ ضعيف .

يا أخا الموت ..

قل لنفسك قبل فوات الأوان :

يا نفسُ توبي فإنَّ الموتَ قَدْ حانا　　واعصِ الهوىٰ فالهوىٰ ما زال فَتَّانا
في كلِّ يومٍ لنا مَيْتٌ نشيعهُ　　ننسىٰ بمصْرَعِه آثارَ مَوْتانا
يا نفسُ مالي وللأموالِ أكنزُها ؟　　خَلْفي وأَخْرُجُ من دنيايَ عُريانا
ما بالنُا نتعامىٰ عن مَصارِعنا ؟　　ننسىٰ بغفلِتنا من ليس يَنْسانا

قل لها :

الموتُ ضيفٌ فاستعدَّ لهُ　　قبلَ النزولِ بأفضلِ العُدَدِ
واعملْ لدارٍ أنتَ جاعلُها　　دارَ المقامةِ آخرَ الأمدِ
يا نفسُ موردُكِ الصراطُ غدًا　　فتأهَّبي مِنْ قبل أن ترِدِي

أخا الموت ..

هذه الدنيا : كل ذي نعمة مخلوسها ، وكل ذي أمل مكذوب ، وكل ذي مال موروثها ، وكل سَلَبٍ مسلوب ، وكل ذي غَيبة يئوب ، لكن غائب الموت لا يئوب ، فما بالنا سكارىٰ كأنَّ الموتَ يأخذُ غيرنا فداءً لنا ؛ كيلا يَمُرَّ بنا حَتْفٌ .

أخا الموت ..

تعال بنا نقلب صفحة من صفحات هذا الغيب المهيب، تعال لنداوي قسوة قلوبنا، بنا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة، بنا نجتاز العسرة قبل يوم الحسرة، بنا نذكر الموت قبل الفوت؛ وقد حثنا رسول الله ﷺ علىٰ ذلك؛ فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ**»[1].

أخي في الله ..

تساءل معي: أنحن مؤمنون حقًّا؟ أمثلنا يؤمن باللَّه واليوم الآخر؟ هل نعلم حقًّا أن الموت آتينا لا محالة ثم نبعث من قبورنا إلىٰ يوم الحساب؟

المؤمنون تصدق أفعالُهم أقوالَهم، فالإيمان ليس لعبة يتلهىٰ بها صاحبها ثم يدعها ويمضي.

قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ذكر الموت. وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (١٨٧٧).

ولا بالتحلي ؛ ولكن ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال .

فالإيمان إنما هو تكيف في النفس ، وانطباع في القلب ، وعمل في الواقع ، ثم لا تملك النفسُ الرجوعَ عنه حتىٰ تستقر حقيقته في الضمير .

وقال الحسن أيضًا : هيهاتَ هيهاتَ ، أهلك الناسَ الأمانيُّ : قول بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وإيمان بلا يقين ، مالي أرىٰ رجالًا ولا أرىٰ عقولًا ، وأسمع حسيسًا ولا أرىٰ أنيسًا ، دخل - واللّه - القوم ثم خرجوا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وحَرَّموا ثم استحلوا ، إنما دين أحدهم لعقة علىٰ لسانه ، إذا سئل : أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ قال : نعم . وكذب ومالكِ يوم الدين .

إخوتاه ..

هذه أخلاق المؤمنين : قوةً في دين ، وإيمانًا في يقين ، وعلمًا في حلم ، وحلمًا بعلم ، وكيسًا في رفق ، وتجملًا في فاقة ، وقصدًا في غنًى ، وشفقةً في نفقة ، ورحمةً لمجهود ، وعطاءً في الحقوق ، وإنصافًا في الاستقامة ،

لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم في مساعدة من يحب ، لا يلمز ولا يغمز ، ولا يلغو ولا يلهو ، ولا يلعب ولا يمشي بين الناس بالنميمة ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذي عليه .

سبحان اللَّه ! هذه أخلاق المؤمنين فأين هم؟!! وهل أنت منهم؟!! يا له من سؤال ! .

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨] .

أخي في اللَّه ..

إنَّ الموت حقيقة لا يكابر فيها مكابر ، ولا يجادل فيها ذو عقل ؛ لأنَّ الموت مشاهد متكرر ، ولكن الناس غافلون أو متغافلون عنها ، ومع ذلك فكل حي سبيله الموت والرحيل من هذه الحياة ، تاركًا ما خَوَّلَه اللَّه خلف ظهره من أهلٍ ومالٍ ونعيمٍ ؛ بل إن أهله الذين هم أهله ، هم الذين سيوارونه الترابَ بعد أن خمدت فيه الحياة ، وينصرفون عنه إلى ملاهي الحياة ، ثمَّ ينسونه في مشاغل الحياة - وهو الذي أضاع من أجلهم عمره - ولعله أغضب

في سبيلهم ربَّه ، ونسي - من أجلهم وفي سبيل راحتهم ونعيمهم - آخرته .

أحبتي في الله ..

إنَّ للعمر أيامه ، وللحياة نهايتها ، ولا ندري متىٰ تنقضي أيام العمر ، ومتىٰ تبلغ الحياة نهايتها ، ولكن كلنا يدري أن ذلك لن يطول انتظاره .

قال الله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

فكيف بك إذا بلغت من الحياة النهاية ، وانتقلْتَ منها إلىٰ حياتك الأخرىٰ ؟ أتراك ستنتقل من هذه الحياة إلىٰ حياة أفضل منها أم إلىٰ حياة أشقىٰ وأتعس ؟!!

أحبتي في الله ..

نحن قوم مسافرون ، والطريق طويلة ، والعقبات كُثُرٌ ؛ فتزود لآخرتك من دنياك ، ولا يلهينكم عن غايتكم فتاتُ الطريق ، وبريق الشهوات ، وبهرج المال ، وحلاوة العيش ؛ فإن ذلك لن يدوم .

أخي في الله ..

دعنا نفسح للحق في نفوسنا سبيلًا ، دعنا نعرف حقيقة الحياة : -

تالله ، إن الحياة التي تخلو من السير على المنهج الإلهي . . . إن الحياة التي لا تتصل بالحي الذي لا يموت . . . إن الحياة التي تنخلع من ظل شريعة الله . . . إنها لحياة تافهة شائهة ، إنَّها عذابٌ ، يعيش صاحبها يقاسي في نفسه لَوْعَةُ ، وفي روحه جوعَةُ ؛ لأنه يعيش دون أن يشعر بوجوده الحق ، ودون أن يعرف سبيله ، فاعرف ربك تعرفْ نفسك ، وتعرفْ سعادتك ، وتُهْدَ لغايتك ، ودون ذلك ؛ حياتك سراب يلمع في وهج الشمس ، في حر الهاجرة ، يخيل إليك أنه شيء يُغني ويقني ، ولكنه لا شيء ، إنه سراب .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

أخي في الله .. وحبيبي ..

لا ألفينك وقد انقضت حياتك وحان حينك، وولت عنك الدنيا مدبرة، ونَظَرْتَ إلىٰ ماضي أيامك، فإذا بك تشاهد ماضيًا أليمًا، وأيامًا سوداءَ قاتمةً قضيتها في عصيان رب العالمين، وقد خدعك في الحياة مظهرها وزخرفها، فغابت عنك حقيقتها وغايتها، فعند ذلك تقول - باكيًا حين تبلغ الروح الحلقوم، والناس إليك ينظرون -: رب أمهلون، وإلىٰ الدنيا ارجعون؛ لعلي أعمل صالحًا فيما تركت، فيقال لك: كلَّا؛ لقد انتهت الحياة، ومضت فترة الاختبار.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وقال جل وعلا: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

❊ ❊ ❊

ثم ماذا ؟؟

لم يُشْغَلِ الموتُ عنَّا مُذْ أُعِدَّ لنا
وكلُّنا عنه باللَّذَات مشغولُ
وليس مِنْ مَوْضِعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ
إلا وللموتِ سَيْفٌ فيه مَسْلُولُ
ومَنْ يمتْ فَهْوُ مقطوعٌ ومُجْتَنَبٌ
والحَيُّ ما عاشَ مَغْشِيٌّ ومَوْصولُ
كُلْ ما بدا لكَ ؛ فالآكالُ فانيةٌ
وكُلُّ ذي أُكُلٍ لابُدَّ مَأْكُولُ

* * *

ثـم مـاذا ؟؟

هذا السؤال أخطر ما يكون .. ثم ماذا ؟؟

وهنا تفترق الطرق بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر والعصيان :

أثَمَّ حياة أخرىٰ أم لا ؟

أثَمَّ نعيم وعذاب في القبر أم لا ؟

أهناك بعث ونشور وحساب وجزاء يوم تقوم الأشهاد أم لا ؟

أجنة هي موعود المؤمنين ، ونار هي جزاء الكافرين أم لا ؟

فأهل الإيمان يؤمنون بأن هذه الحياة إلىٰ زوال ، ثم ينتقل الإنسان إلىٰ الحياة الأخرىٰ السرمدية ، يؤمنون أن الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار الجزاء .

ويؤمنون بأن في القبر نعيمًا وعذابًا ، ثم يبعث اللَّه

الناس من قبورهم يوم القيامة ، ذلك اليوم العظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فيوفيهم حسابهم فيُدخِل اللّه المؤمنين الجنة برحمته ويوفيهم أجورهم ، واللّه ذو الفضل العظيم .

ويدخل الكافرين النار بعدله ، وبئس مثوىٰ الكافرين .

هذه عقيدة المؤمنين ، وهي عقيدة تحرك للعمل ، فأين العمل ؟

أخا الموت ..

خرجت الروح ، ووضع الجسد في التراب حيث القبر أول منازل الآخرة ، وأول مراحل البداية لحياة أخرىٰ .

غَيْبٌ يا لَهوله ! !

ومن مقتضيات الإيمان أن نتفكر في هذا الأمر ، وإلا فَلْيَتَّهِمْ كلٌّ منا نفسَه ، فالتفكر أول طريق الاستعداد .

فجديرٌ بمَنِ الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، ألا يكون له فكر إلا في الموت ، لا ذكر إلا له ،

ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا انتظار وتربص إلا له .

قال بعض السلف : إذا فارق ذكر الموت قلبي خشيت أن يفسُدَ عليَّ قلبي .

وكان من وصية بعض السلف : توسَّدِ الموتَ إذا نمت ، واجعلْه نصب عينيك إذا قمت .

وقد أُثني علىٰ رجل بين يدي رسول اللّه ﷺ ، فقال : «**كَيفَ ذِكْرُهُ للموْتِ**» قالوا : ليس بذاكَ فقال : «**مَا أَظُنُّ أَنَّ صَاحِبَكُمْ بَلَغَ المبْلَغَ**»(١) أو كما قال .

فحقيق بمن أراد الفوز والنجاة أن يعد نفسه في الموتىٰ ، ويراها في أصحاب القبور ، ولكن قست القلوب فأعرضت عن ذكر هذا الخطر العظيم ، ومن يذكره يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا ، فازدادت القلوب قسوة علىٰ قسوة .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص : ٩٠) ، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١/ ٣٩٥) ، وهو مرسل .

فلماذا هذا الصدود والإعراض عن سبيل اللَّه جل وعلا؟

لماذا - إخوتاه - قست قلوبنا فلم تعد تنجع فيها المواعظ المتتالية والدعوات المستمرة، مع كل هذه الوسائل المختلفة في دعوة الناس لدينهم؟

لماذا يحيدون ولا يلتزمون بشريعة ربهم؟

أهي الدنيا قد اجتالت الناس عن دينهم فعبدوها من دون اللَّه؟ فلا همَّ ولا شغل للإنسان إلا شهواته، وقد علم أنَّ نعيم الدنيا مُنَغَّصٌ؛ لأنها ليست بدار الخلود؛ إذ السلامة فيها ترك ما فيها.

أهي الحرب الضروس التي تشن علىٰ الإسلام في كل مكان وبكل صورة؟ سواء الحرب العسكرية أو الثقافية فيما يعرف بالغزو الثقافي، ذلك المخطط الخبيث لمحو هويتنا الإسلامية، فانصاع الناس وراء هؤلاء، ومُكِر بهم، فدبَّ فيهم الوهن والعجز وهُزِمُوا نفسيًّا، فلم يروا لدينهم علوًّا ولا مكانةً؛ بل انبهروا بمغريات المدنية الغربية، وانجرفوا لتيار حياتهم المادية التي لا روح فيها، فابتعدوا عن

دينهم ، فعدت اليوم - حين تخاطب المسلمين الذين هم مِنْ جِلْدَتِكَ وربما يتكلم أغلبهم بلسانك - تجد عجبًا ؛ تسلل إلىٰ الناس الشك ، وراحوا يتخبطون ، حتىٰ ترىٰ من يسخر بعقائد الإسلام ، يسخر من أن هناك عذابًا في القبر ، ولا يصدق به ، وأخشىٰ أن تزل الأقدام فينكرون يوم القيامة ، ثم يخرجون من الدين بالكلية ، حتىٰ تأتي الطامة فينفوا وجود اللَّه ، وإنها دركات بعضها تحت بعض ، وظلمات بعضها فوق بعض ، ومقتضىٰ الطبيعة أن الهبوط أسرع من الصعود ، فترقب !!

أيها الأخوة ..

إنني أخاطب الآن من يريد اللَّه والدار الآخرة ، أحاول أن أوقظه ، أحاول أن أجذبه بقوة قبل أن يهلك تحت القضبان ، أريده أن يركبَ سفينة الإيمان ولا يكونَ مع الهالكين .

وسأصف لك - أخي - وصفةً ناجعةً عساك تنتفع بها ، فجرد الإخلاص أولًا ، واصحبني ساعة واحدة من عمرك ؛ لعلك تظفر بسعادة الدنيا والآخرة - إن انتفعت .

إخوتاه ..

أولًا – أيها الحبيب المُحِبُّ – وقبل كل شيء : والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة إنِّي أحبك في اللَّه ، عليك حريص ، ولك ناصح أمين ، أريد لك الخير كل الخير ، وواللَّه ، وتاللَّه ، وباللَّه ما أريد لك إلا السعادة والراحة في الدنيا برضا اللَّه تعالىٰ ، والخلود في الجنة في الآخرة برضاه جل وعلا ، فأحضر لي قلبك وارعني سمعك يارعاك اللَّه ، فكلامي مقروء ، ولكنك تسمع مِنْ خلفه نبضات قلب يحبك في اللَّه .

السؤال : إذا كنت تؤمن باللَّه واليوم الآخر فما الذي يحول بينك وبين سلوك طريق الجنة؟ ما الذي يعرقل أقدامك عن السعي في طريق رضا اللَّه؟ ما الذي يجعلك تسارع في المعاصي والشهوات؟

والإجابة يسيرة : إن الطريق إلىٰ اللَّه لا تقطع بالأقدام ، وإنما تقطع بالقلوب ، فهل لك قلب[1] .

---

(١)راجع في مسألة القلوب رسالتنا : «عجائب القلوب» – تحت الطبع – يسَّر اللَّه إتمامها .

- هل لك قلب سليم يحب اللَّه ورسوله ويطيع اللَّه ورسوله ؟

- هل قلبك يطمئن لذكر اللَّه ؟

- هل قلبك مخبت أم أنَّ شهواتك أغلب ؟

وقد يجيب أكثر الناس بل يجيب كل من صدق مع نفسه : أعاني قسوة في القلب ، وفتورًا في العمل ، فماذا أصنع ؟

ولذا ؛ فالسؤال التالي : كيف أعالج قسوة القلب ؟

وقبل إجابة السؤال فلابد مِنْ شروطٍ لاستيعاب الجواب ، وحصول الشفاء بإذن اللَّه تعالىٰ :

أولًا : أنْ تشعر من قلبك بحاجة ملحة إلىٰ هذا الدواء .

ثانيًا : صلاحية المحل ، وقبوله للدواء .

فلابد لك من إرادة جازمة ، وعزيمة صادقة ، وصبر بحق ، لابد أن تشعر بالخطر ممَّا أنت فيه ، وتطلب النجاة بحق يقيني يضمن لك السعادة والراحة في الدنيا والآخرة .

تعالَ إذن إلىٰ الدواء علىٰ شرطين ذكرناهما : اليقين والصبر .

علاج قسوة القلب

قال العلماء : علاج قسوة القلوب من وجوه :

أولًا : تلاوة القرآن ، وذكر اللَّه :

قال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال جل وعلا : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

فأرشدنا اللَّه جل وعلا إلىٰ أن الدواء الناجع الذي تطيب به القلوب القاسية هو ذكر اللَّه تعالىٰ ، وأفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم ؛ فإنَّه حياة القلوب ، والقلب الذي ليس فيه شيء من القرآن قلب خَرِبٌ ، عششت فيه الشياطين ، قلب أَغْلَف ، قلب محجوب عن رحمة اللَّه تعالىٰ .

قال ﷺ : «**إِنَّ الذِي لَيسَ فِي جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ**»[١] .

ثانيا : صدق التضرع إلىٰ اللّه ، ودوام اللَّجإ إليه ، والتباكي بين يديه :

فعليك بالإخلاص ، فإنه خلاصك ، ودوام الإنابة إلىٰ رب العالمين ، واستحضر الموتَ أمام عينيك ، وهولَ المنقلب ، وعظيمَ جنايتك التي حالت بينك وبين ربك ، واستعن في ذلك بقراءة آيات الوعيد ، وقراءة الكتب التي تصف لك الدار الآخرة ، أو سماع الأشرطة التي يخشع لها قلبك ، وقم بين يديه ﷻ مظهرًا فقرك وشدة احتياجك

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٨٠) ، كتاب أبواب فضائل القرآن ، وقال : حسن صحيح .

قال المناوي : قال الترمذي : حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح ، وفاتهما أن فيه قابوس ابن أبي ظبيان ، ضعيف كما بينه ابن القطان ، والراوي عن قابوس جرير ، وفيه مقال ، فالصحة له محال ، ومن ثم استدركه الذهبي علىٰ الحاكم ، وقال : قابوس لين . وقال النسائي : غير قوي . ولذا ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٥٢٤) .

إليه ، ولا بأس من أن تتباكىٰ حينئذٍ إن لم تسعفك العبرات في مثل ذلك المقام ، ويمكنك أن تستعين ببعض الأدعية المأثورة .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ : **«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَىٰ لِي ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا ، لَكَ ذَكَّارًا ، لَكَ رَهَّابًا ، لَكَ مِطْوَاعًا ، لَكَ مُخْبِتًا ، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَثَبِّتْ حُجَّتِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَاهْدِ قَلْبِي ، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»**(١) .

ويا له من دواء للقلب نافع ناجع ، فإنْ جرَّبته ؛ فإنك لن تسلوه ، فسيكون أنيسك وسعادةَ قلبك .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥١) ، كتاب الدعوات عن رسول اللّٰه ﷺ ، باب في دعاء النبي ﷺ . وقال : حسن صحيح . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٧٩) .

ثالثًا : حضور مجالس العلم ، والوعظ ، والتذكير ، والتخويف ، والترغيب :

فلابد أن تقلع عن مجالس السوء ؛ فإنها من أعظم الأسباب الجالبة لقسوة وفساد القلب ، وبشكل عام لابد من الحذر من الخلطة السيئة ؛ فإنَّها من أشد أنواع الداء ، ولا يكون ذلك إلا بعكوف القلب واستكانته حيث رحمات اللَّه المنزلة ، حيث يأنس بالاستماع إلىٰ أخبار الصالحين ؛ فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها ، إنها مجالس العلم ، والعلم عبادة القلب .

فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[1] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٩٩) ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن .

رابعًا : ذكر الموت :

فيكثر من ذكر هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وميتم البنين والبنات .

وقد كان رسول اللَّه ﷺ يتعاهد قلوب أصحابه بتذكيرهم بالموت .

فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اذْكُرُوا اللَّهَ ، اذْكُرُوا اللَّهَ ؛ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»[(١)] .

قال العلماء : تذكُّرُ الموت يردع عن المعاصي ، ويلين القلب القاسي ، ويُذْهِب الفرحَ بالدنيا ، ويُهوِّن المصائب فيها ؛ إذ كفىٰ بالموت واعظًا وكفىٰ به مفرقًا ؛ فإن مَنْ ذكر الموت حقيقةَ ذِكرِه نَغَّصَ عليه لذتَّه الحاضرة ، ومنعه من تمنيها في المستقبل ، وزهَّده فيما كان منها يؤمل ؛ إذ حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة ، والتعلق بالدنيا من أشد ما تقسو به

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) كتاب صفة القيامة ، وقال : حسن صحيح . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٤٠) .

القلوب ، والنفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلىٰ بالغِ الموعظة ونهايةِ السبل الموقظة ، وذِكْرُ الموت يورث استشعارَ الانزعاج عن هذه الدار الفانية ، والتوجهَ في كل لحظة إلىٰ تلك الدار الباقية .

ولما كان طول الأمل السببَ الرئيسيَّ في قسوة القلوب قال تعالىٰ : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] ؛ كان لذكر الموت أثره البالغ في قصر الأمل .

واذْكرِ الموتَ تجِدْ لك راحةً   في ادِّكار المَوْتِ تقصيرُ الأملْ

كان بعض الصالحين ينادي بليل علىٰ سور المدينة : الرحيلَ الرحيلَ ، فلما توفي فقد صوته أمير المدينة ، فسأل عنه ، فقيل : إنه قد مات . فقال :

ما زالَ يلهَجُ بالرحيلِ وذكرِهِ   حتىٰ أناخَ ببابِهِ الجَمَّالُ
فأصابه متيقظًا متشمِّرًا   ذا أُهْبةٍ لم تُلْهِهِ الآمالُ

خامسًا : مشاهدة المحتضرين :

وقد كان من هديه ﷺ زيارةُ المحتضرين .

فعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ شَابٍّ وَهُوَ فِي

الْمَوْتِ ، فَقَالَ : «**كَيفَ تَجِدُكَ ؟**» قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ ، وَإِنِّي أخاف ذُنُوبي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وآمَنَهُ مِمَّا يَخافُ**»[1] .

قال أهل العلم : إن في النظر إلىٰ الميت ، ومشاهدة سكراته ونزعاته ، وتأمل صورته بعد مماته - ما يقطع عن النفوس لذتها ، ويطرد عن القلوب سكراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويبعث علىٰ العمل ، ويزيد في الاجتهاد والتعب .

فهذه خمسة أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعينَ بها ؛ فإنها دواء دائه ، ويستصرخَ بها علىٰ فتن الشيطان وإغوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظُم عليه رانُ القلب ، واستحكمت فيه دواعي الذنب ؛ فعليه بالأمر السادس ، وهنا محل الشاهد .

---

(١)أخرجه الترمذي (٩٨٣) ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء أنَّ المؤمن يموت بعرق الجبين ، وقال : حسن غريب .

سادسًا : زيارة قبور الموتىٰ :

فإنها تبلغ في دفع قسوة القلب ما لا يبلغه غيرها ، فزيارة القبور لها تأثير عظيم ؛ فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجود .

يقول رسول الله ﷺ : «**فَزُورُوا الْقُبُورَ ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»[1] ، وفي رواية : «**فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[2] .

إخوتاه ..

تعالَوا لنزور القبور قبل أن يزورنا غيرنا .

يقول رسول الله ﷺ : «**كُنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ ، ألَا فَزُورُوهَا ؛ فإنَّها تُرِقُّ القَلْبَ ، وتُدْمِعُ العَيْنَ ، وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ ، ولا تَقُولُوا هُجْرًا**»[3] .

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٦٩) ، كتاب ما جاء في الجنائز ، باب ما جاء في زيارة القبور ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (١٢٧٥) .

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٢) ، وصححه الألباني في =

إن هذا الحديث وأمثاله يدفع المؤمن للانخلاع من جَوِّ الركود واللاشعور الذي تَعَوَّدَ العيشَ فيه - إلىٰ عالم الاستشعار والتذكر .

يقول المناوي معلقًا علىٰ الحديث السابق : ونعم الدواء لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه .

وللتراب الصامت صوت لا يسمعه إلا من تذكر هادم اللذات ، وهو أمامه يتأمل ، ومحاورته متعة لا يجوزها إلا من أراد أن يكون من أبناء الآخرة ، واستَنَّ بسنة علي بن أبي طالب ﷺ بتطليق الدنيا بثلاث .

. ولكن الزيارة تكون بآدابها ؛ فينبغي عليه أن يحضر قلبه في إتيانها ، وينوي صالحًا ، فيقصد بزيارته وجهَ اللَّه تعالىٰ ، وإصلاحَ فساد قلبه ، وأن يعتبر بذلك .

ويستحب له أن يكثر من الدعاء والاستغفار للميت ، لا سيما بما أُثِرَ عن رسول اللَّه ﷺ المؤتىٰ جوامع الكلم .

= «صحيح الجامع» (٤٥٨٦) ، وقال ابن الأثير في «النهاية» : هجرًا : أي فحشًا .

فمن دعائه ﷺ ما رواه عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قال : صَلَّىٰ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَىٰ جَنَازَةٍ ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ : **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ ، وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»** قَالَ : «حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»(١) .

قِفْ وتأمَّلْ:

أحضر بقلبك ذِكْرَ مَنْ كان مترددًا في أغراضه ؛ كيف تهدمت رجلاه في قبره؟

يقول الرافعي : كل من يهرب من شيء يتركه وراءه إلا القبر ؛ فما يهرب منه أحد إلا وجده أمامه ، هو أبدًا ينتظر غيرَ متململ ، وأنت أبدًا متقدم إليه غيرَ متراجع .

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٣)، كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت في الصلاة .

أخي في الله ..

تأمل:

صاحبك في القبر كان يتلذذ بالنظر إلىٰ ما حوله ، فإذا به في قبره وقد سالت عيناه .

كيف كان يصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ؟

كيف كان يضحك لمواتاة دهره ، وقد أبلىٰ التراب أسنانه ؟

تأمل وتذكر:

بل وتحقق وتأكد أن سيكون حالك كحاله ، ومآلك كمآله ، وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنك جميع الأغيار الدنيوية ، وتقبل علىٰ الأعمال الأخروية ؛ فتزهد في دنياك ، وتقبل علىٰ طاعة مولاك ، ويلين قلبك ، وتخشع جوارحك ، فزيارة ذلك الواعظ من أكبر أسباب تقوية القلب ، وإزالة تلك الغشاوة .

فأنت عندما تذهب إلىٰ المسجد يوم الجمعة تستمع إلىٰ واعظ واحد ، فالمصلون كثيرون والواعظ واحد ، ولكن

الصورة تنقلب في المقبرة حيث تتحول كل القبور إلىٰ وعاظ ، وأنت تستمع إليهم في آنٍ واحدٍ ، فالمستمعون قليل ، والوعاظ أكثر .

وهذه حالة فريدة لا تكون في أمور الدنيا إلا في ذلك المكان ، فالقبر ما يفتأ صامتًا لا يتكلم ، ولكن صوته في أعماق الناس أعلىٰ من صوت ذلك الواعظ الجهوري الصوت في المسجد .

إخوتاه ..

تعالوا بنا لنزور ذلك الواعظ الصامت ، نقف عنده مليًّا ؛ لنتدبر حديثه الدائم ، عسانا أن نعتبر .

إنَّه القبر:

القبر : لا يملك العبارات المنمَّقة المصفوفة ، ولكن منظره أعمق من كل عبارات الوعاظ .

القبر : لا تتحرك يداه ، ولا يلتفت بوجهه ميمنة وميسرة ؛ ليجذب جمهور المستمعين والمشاهدين بخطبته ؛ لأن الجاذبية تركزت فيه ،تجذب القلوب قبل الأجساد .

القبر: ما هو إلا تلك الحفرة التي سينام فيها الإنسان، عندما تتوقف الآلة التي كان يعمل من خلالها بعد أن ينتهي من أداء الاختبار الذي كان قد كلف بأدائه.

القبر: الذي تظهر فيه النتائج الأولية للاختبار في دار الدنيا بعد أن يستقر بهذه الحفرة.

يقول الرافعي رحمة اللّٰه عليه: «فتحنا القبر، وأنزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة، ووقفت هناك، بل وقف التراب المتكلم ينقل عن التراب الصامت، ويعرف منه أن العمر علىٰ ما يمتد محدود بلحظة، وأن القوة علىٰ ما تبلغ محدودة بخمودٍ، وأن الغايات علىٰ ما تتسع محدودة بانقطاعٍ، وحتىٰ القارات جميعها محدودة بقبر».

فما ذلك الواعظ الصامت إلا تلك الحفرة التي تُسَمَّىٰ القبر.

هو كما يناديه الرافعي أيضًا فيقول: «واهًا لك أيها القبر! لا تزال تقول لكل إنسان: تعال، ولا تبرح كلُّ

الطرق تفضي إليك ، فلا يقطع بأحد دونك ، ولا يرجع من طريقك راجع ، وعندك وحدك المساواة .

فما أنزلوا قط فيك مَلِكًا عظامه من ذهب ، ولا بطلًا عضلاته من حديد ، ولا أميرًا جلده من ديباج ، ولا وزيرًا وجهه من حجر ، ولا غنيًّا بجوفه خزانة ، ولا فقيرًا علقت في أحشائه مخلاة ، واهًا لك أيها القبر ! » .

وتاللَّه لولا قسوة القلوب ، والانشغال بالوسائل التي تعين علىٰ أداء الهدف الذي خلقنا من أجله ، لتذكرَ الإنسانُ عند ولادة كل مولود اليوم الذي يدفن فيه .

يقول ابن الجوزي : «عبر مهد الطفل عنوان اللحد» .

فكما يلف الطفل المولود بقطعة قماش بيضاء ، ويوضع في المهد بلا حراك ، فكذلك الميت أيضًا يلف بقطعة بيضاء هي آخر ثوب يلبسه بالدنيا ، ليبقىٰ في مهد الأرض إلىٰ يوم البعث ، ولكن يحركه في البداية ملكان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ثم يحركه عمله ليكون جليسه ، نعم في القبر ، ولا يزال في حركة إلىٰ أن تقوم الساعة ، حركة بعذاب ، أو حركة بنعيم .

حوار مع القبر:

استمع لهذه المحاورة بين الرافعي والقبر:

يقول: «سألت القبر: أين المتاع والمال؟ أين السحر والجمال؟ أين الصحة والقوة؟ أين المرض والضعف؟ أين القدرة والجبروت؟ أين الخضوع والذلة؟

قال: كل هذه صورة فكرية لا تجيء إلىٰ هنا؛ لأنها لا تؤخذ من هنا.

هكذا يتوقف كل شيء هناك في تلك الحفرة؛ تتوقف الابتسامات والقهقهات، ويتوقف الجدال والصرخات، ويتوقف العناد والكبرياء، ويتوقف الأمل والجشع، ويتوقف الإخلاص والرياء، ويتوقف العجب بالمنصب والجمال، ويتوقف الافتخار بالعشيرة والجاه، ويتوقف الغرور بالقوة والعقل، كما يتوقف ظلم من ظلم، وذلة من استذل، يتحول الوجه الفاتن، واليد الظالمة، واللسان الكذوب، والعين الخائنة، والقلب القاسي، إلىٰ جماجمَ وأعظمٍ نخرة تعبث بها الديدان من كل جهة، ولا يبقىٰ إلا العملُ الذي قدمه صاحب القبر، يسأله عنه منكر ونكير،

ولا يبقىٰ بعدهما إلا هذا الجليس المؤنس الوحيد : العمل .

وأينما يذهب الإنسان تتلقاه أسئلة كثيرة : ما اسمك؟ ما صناعتك؟ ما وظيفتك؟ ما مؤهلاتك ، كم عمرك؟ كيف حالك؟ ماذا تملك؟ ما صحتك؟ ما وطنك؟ ما رأيك؟ ما طلباتك؟ ما رغباتك؟ ما أمنياتك؟

عند القبر يبطل هذا كله ، كما تبطل اللغات البشرية كلها في الفم الأخرس ، وهناك ينطق بسؤال واحد للإنسان : ما عملك؟ » اهـ .

فإما عمل يُحِيلُ قبره إلىٰ روضة من رياض الجنة ، وإما عمل يُحِيلُ قبره إلىٰ حفرة من حفر النار عياذًا بالله تعالىٰ .

إخوتاه ..

ولكن ؛ كلُّ ما ذكرت لا يكون إلا لمؤمن صادق يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويصدق بعقيدة عذاب القبر ونعيمه ، وفي زمن الجهل والبلبلة لعقائد المسلمين لا بد أن نعود لتثبيت عقائد الملايين بذكر أصول هذه العقيدة .

* * *

عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه

إخوتاه ..

لعَمْرُ اللَّه ، إنَّ الجبين لينديٰ استحياءً من اللَّه مما نحن فيه في هذا الزمان ؛ فها هم السفهاء يعتلون منابر التشكيك في قضايا الاعتقاد ، وتنطق الرويبضة بمقالة السوء ، وصاروا ينكرون ما تعارف عليه أهل الإيمان منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، فمرةً ينكرون الشفاعة الثابتة بأحاديث متواترة قطعية الثبوت ، وينالون من حجية السنة المطهرة ومن أصحاب الحديث ، ويقولون : نأخذ بكتاب اللَّه ، أما السنة فمدارها علىٰ أخبار الآحاد الظنية ، ولا سبيل للظن في مسائل الاعتقاد ! !

والأمر علىٰ خلاف ذلك ؛ بل «خبر الآحاد» يؤخذ به في العقيدة[1] ، فإن تنزلْتَ معهم فقلت لهم : فماذا أنتم

(١) راجع في ذلك رسالة العلامة الألباني «الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة» .

قائلون - مثلًا - في عقيدة «الولاء والبراء» المنصوص عليها بآي القرآن، راحوا يقلبون الأبصار فإمَّا يعرضون، وإمَّا يؤولون ويلوون النصوص بالهوىٰ، وإمَّا يعطلون.

فالخَطْبُ ليس حجية قرآن أو سنة - عَلِمَ اللَّه - إنَّما هو الهوىٰ، فكيف بربك تفسر أن يظل الواحد من هؤلاء يعصي اللَّه آناء اللَّه والنهار، لا تراه يصلي، تسأل فتراه مهموزًا في خلقه وسلوكه، ثم يستيقظ من سُكْرِه ليكتب في إبطال عقائد الإسلام، وهو من جلدتنا ويتكلم بلساننا، وتفتح له الصحف الصفراء أبوابها علىٰ المصراعين؛ لينال من دين اللَّه؟ حقًّا؛ لولا أن من اللَّه علينا لخسف بنا.

وسبحان اللَّه! المسكين لا يدري ما الفرق بين الحديث والأثر، ولا يعرف معنىٰ الإسناد، ولا يدري من رجاله.

جهل مطبق، وعناد بالباطل، وأحقاد علىٰ الدعاة وأهل العلم عجيبة، ونسأل اللَّه المعافاة والنجاة.

وتجد آخرين ما تربوا في كنف العلماء، وعلمهم بالدين ضَحْلٌ، ويأتي ليضعف لك أحاديث في البخاري،

ويؤول لك النصوص وفق فهمه القاصر ، وكأنَّه لا علم يُدْعىٰ بـ«مصطلح الحديث» توزن به نصوص السنة ، ولا علم يسمىٰ بـ«أصول الفقه» يضبط فهم النصوص وتفسيرها ، وكأنَّه لم ينقل لنا بالتواتر المعنوي - فضلًا عن اللفظي ، جيلًا بعد جيل - عقيدةُ السلف الصالح .

يقول السُّيوطي في « الأشباه والنَّظَائر » (ص : ٢٨ ، ٢٩) :

وكيف يقاس من نشأ في حِجْرِ العلم منذ كان في مَهْدِهِ ، ودَأَبَ فيه غلامًا وشابًّا ، حتىٰ وصل إلىٰ قصده - بَدخِيلٍ أَقَام سنواتٍ في لهوٍ ولعبٍ ، وقطع أوقاتًا يحترف فيها أو يكتسب ، ثم لَاحَتْ منه الْتِفَاتَةٌ إلىٰ العلم ، فنظر فيه وما احْتَكَمَ ، وقَنِعَ منه بتَحِلَّةِ القَسَمِ ، ورضي بأن يقال : « عالمٌ » وما اتَّسَمَ .

آهٍ من الأهواء وصنيعها في أرباب العقول البعيدة عن نور الوحي ، تأخذ أحدهم الفكرةُ العابرة ، ثم يلعب به هواه ، فتختمر الفكرة الشيطانية في ذهنه ، ثم يصبح

يجمع لها أصحاب الهوىٰ ويكتب ويناطح ، وهو أجهل من دابة .

أو تراه غير مؤمن أو مصدق بعذاب القبر مثلًا ، ويحيل عقله المظلم أنْ يكون هذا من عقيدة الإسلام ، فما يلبث أن ينكر كل ما عدا هواه .

فالنصوص يضرب بها عرض الحائط بالطعن في الثبوت ، فمرة يطعنون في أبي هريرة راوية حديث رسول اللَّه ﷺ ، وتارة يطعنون في كتب الحديث - التي تلقاها أهل العلم منذ أكثر من اثني عشر قرنًا - بالقبول - ، أو يردون تلك النصوص بالتأويل الفاسد أو بالتعطيل ؛ كأن يتشدق بالنسخ بلا دلالة ، إلى آخر تلك المهاترات الفارغة والمهارشات السفيهة .

فيا أخا الإسلام ..

عليك بالعتيق ؛ عليك بكتاب اللَّه ﻷ وبسنة رسول اللَّه ﷺ بفهم صحابة رسول اللَّه ﷺ وتابعيهم بإحسان ، ودع عنك قول أهل الزور والباطل والبهتان ، إنَّه دينك ، فانظر

عمَّن تأخذه ، فهل ترضىٰ أن تتعلم دينك علىٰ يد فسَّاق أو مخرفين أو ضُلَّال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ؟!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : «**سَيَقْرَأُ القُرآنَ رِجَالٌ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١) .

قيل لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ، إن قومًا يكذِّبون بعذاب القبر . قال : فلا تجالسوا أولئك .

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٠) .
قال النووي : المراد أنهم ليس لهم حظ إلا مروره علىٰ ألسنتهم ، ولا يصل إلىٰ حلوقهم ، فضلًا عن وصوله إلىٰ قلوبهم ؛ لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب .
«يمرقون من الدين» : أي : يخرجون منه بسرعة .
قال المناوي في «الفيض» : «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» ، شبههم في ذلك بها لاستيحاشهم عما يرمون من القول النافع ، ثم وصف المشبه به في سرعة تخلصه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم ؛ ليبين المعنىٰ المضروب له المثل .

وقال رسول الله ﷺ : «**بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سُنون خَدَّاعةٌ ؛ يكذَّبُ فيها الصَّادقُ ، ويصدَّقُ فيها الكاذبُ ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ ، وينطق فيها الرويبضة** » قيل : وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال : « **السفيه يتكلم في أمر العامة** »[1] .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩١ ، ٣٣٨) ، والحاكم (٤/ ٤٦٥ - ٤٦٦) بإسناد حسن .

الأدلة من القرآن الكريم على عذاب القبر ونعيمه

الأدلة في القرآن كثيرة؛ فمنها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة - وهم الصادقون - أنهم حينئذ يُجْزَوْنَ عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلىٰ انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: اليوم تجزون.

٢- وقوله تعالىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

فذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره .

٣- وقوله تعالىٰ : ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: ٤٥-٤٦] .

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا ، وأن يراد به عذابهم في البرزخ ؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا .

وقد يقال - وهو أظهر - : إنَّ مَنْ مات منهم عُذِّبَ في البرزخ ، ومَنْ بقي منهم عُذِّبَ في الدنيا بالقتل وغيره ، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا والبرزخ .

٤- قال اللَّه تعالىٰ : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

في الصَّحِيحَيْنِ وَالسُّنَنِ عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**» - وَفِي لَفْظٍ : «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ يُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّك؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ - وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ**

تعالىٰ - : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] »(١).

قال ابن عباس : المخاطبة في القبر يقول : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وفي الآخرة : مثل ذلك .

٥- قال تعالىٰ : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

فعذاب القبر ونعيمه اسمٌ لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه علىٰ الدنيا والآخرة ، وسمِّي عذابَ القبر ونعيمَه ؛ لأنه روضة أو حفرة نار ، باعتبار غالب الخلق ، فالمصلوب ، والحرق ، والغرق ، وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطُه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتُهما .

---

(١)أخرجه البخاري (١٣٠٣) ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم (٢٨٧١) ، كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

الأدلة من السنة المطهرة على عذاب القبر ونعيمه

وهي - أيضًا - كثيرة نذكر منها:

١- في «البخاري» عَنْ عَائِشَةَ ﵂ ، أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ ، فَقَالَتْ لَهَا : أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ : «**نَعَمْ ؛ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ**» . قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّىٰ صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ [١] .

٢- وفي «صحيح مسلم» عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ : هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَالَتْ : فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» . قَالَتْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٢)، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر .

عَائِشَةُ : فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ**» . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ(١) .

٣- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا ، فَقَالَ : «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(٢) .

٤- وفي «الصحيحين» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ : «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا : فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَأَمَّا الآخَرُ : فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً . فَقَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨٤) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب بالقبر .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٥) كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٢١٨) ، كتاب الوضوء ، باب ما جاء في غسل البول ، ومسلم (٢٩٢) ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه .

٥- وفي «صَحِيح مُسْلِم» عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابتٍ قَالَ: بينما النبي ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَىٰ بَغْلَةٍ له - وَنَحْنُ مَعَهُ - إذْ حادت بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، فَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ. فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ هَذِهِ الأَقْبُرَ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَتَىٰ مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**» قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا؛ فَلَوْلَا أَنْ لَا تدافنوا لَدَعَوْت اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ(١).

قال القرطبي - رحمه اللَّه تعالىٰ -: وإنَّما حادت به البغلة لِمَا سمعت من صوت المعذبين، وإنَّما لم يسمعه من

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

يعقل من الجن والإنس ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : **«لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»**(١) .

فكتمه اللَّه سبحانه عنا حتىٰ نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية سبحانه ﷻ الرحيم ؛ لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر علىٰ القرب من القبر للدفن ، أو يهلك الحي عند سماعه ؛ إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب اللَّه في هذه الدار ؛ لضعف هذه القوىٰ ؛ ألا ترىٰ أنه إذا سمع الناسُ صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟ وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل من يليه ؟

وقد قال ﷺ - في الجنازة - : **«إذا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ ، فَاحْتَمَلهَا الرِّجَالُ عَلَىٰ أَعْناقِهِم ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُوني ، وإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لأَهْلِها : ياوَيْلهَا ،**

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) الموضع نفسه .

أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا ، يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَ الإنسانُ لَصَعِقَ»[1] .

قلت : هذا وهو علىٰ رءوس الرجال من غير ضرب ولا هوان ، فكيف إذا حل به الخزي والنَّكال واشتد عليه العذاب والوبال ؟

فنسأل اللّٰه معافاته ، ومغفرته ، وعفوه ، ورحمته ، ومنَّه ، وهو الرحيم ، وهو البر الكريم ، سبحانه ﷻ .

ومن الأدلة كذلك :

٦- ما جاء في «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد اللّٰه الطويل ، أنَّ النبي لما قضىٰ حاجته واستتر بظل شجرة قَالَ : «**يَاجَابِرُ ، هَلْ رَأَيتَ مَقَامِي ؟**» قُلْتُ : نَعَمْ يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «**فَانْطَلِقْ إِلَىٰ الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا فَأَقْبِلْ بِهِمَا ، حَتَّىٰ إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ**» .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١٦) ، كتاب الجنائز ، باب قول الميت وهو علىٰ الجنازة : قدموني .

قَالَ جَابِرٌ : فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ ، فَانْذَلَقَ لِي ، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ ، فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّىٰ قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي ، ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ : «**إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ**»[1] .

٧- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ - حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ : انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ**» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا . وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٤) ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

النَّاسُ . فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»[١] .

٨- وكان ﷺ - في غير ما موضع - يستعيذ باللَّه من عذاب القبر ، بل ويعلِّم صحابته كثرة التعوذ منه .

* عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ قَالَ حَدَّثَتْني ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ : أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[٢] .

* عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ : كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ : **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨) ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٦) كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر .

أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »(١) .

* عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : **« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ ، وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ ، وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »**(٢) .

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **« إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ؛ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ »**(٣) .

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ : قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ : اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبِأَبِي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٢) ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يتعوذ من الجبن .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢٣) الموضع السابق .

(٣) أخرجه مسلم (٥٨٨)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

أبي سُفْيَانَ ، وبأَخِي مُعَاوِيَةَ . قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ** »(١) .

* وعن عروة بن الزبير ، عَنْ عَائشة زوج النبي ﷺ أخبرته : أنَّ رسول اللَّه ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ** » .

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ ! فَقَالَ : « **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ** »(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣) ، كتاب القدر ، باب بيان أنَّ الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (٨٣٣) ، كتاب الأذان ، باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم (٥٨٩) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

وحضرني الآن عَجَبٌ :

هؤلاء الذين ينكرون عذاب القبر ؛ أتراهم لا يستعملون هذه الأحاديث - أقصد الاستعاذة في الصلاة بعد التشهد؟

لو كانوا لا يستعيذون ؛ فإنه لخطب عظيم ابتلوا به ، فظني أنهم صُرِفوا ليُعذَّبوا - اللهم غَفْرًا - ولِلَّه في خلقه شئون ، سبحانه جلَّ جلالُ اللَّه .

* * *

من أقوال السلف ﷺ في إثبات عذاب القبر وما كانوا يخافونه من هول المطلع[١]

١- عن ابن عباس قال : دخلت علىٰ عمر بن الخطاب ﷺ حين طعن فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين ؛ أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول اللَّه حين خذله الناس ، وقُبِضَ رسولُ اللَّه وهو عنك راضٍ ، ولم يختلف في خلافتك اثنان ، وقتلت شهيدًا . فقال أعد عليَّ : فأعدت عليه ، فقال : واللَّه الذي لا إله غيره ، لو أنَّ لي ما علىٰ الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع[٢] .

---

(١)راجع في ذلك (إثبات عذاب القبر) لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) (ص : ١٣١ - ١٣٦) ط . دار الفرقان بالأردن . تحقيق : د . شرف محمود القضاة .

(٢)أخرجه البخاري (٣٦٩٢)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ .

٢- كانَ عثمانُ إذا وقفَ علىٰ قبرٍ بَكىٰ حتّىٰ يَبُلَّ لحيتهُ ، فقيلَ لهُ : تُذكرُ الجَنَّةُ والنَّارُ فلا تَبكي ، وتَبكي من هذا . فقال : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إنَّ القَبْرَ أوَّلُ منزلٍ من منازلِ الآخرةِ ، فإنْ نَجَا منهُ فما بعدهُ أيسرُ منهُ ، وإن لم ينجُ منهُ فما بعدهُ أشدُّ منهُ**» .

قال : وقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «**ما رأيتُ منظرًا قطُّ إلَّا والقَبْرُ أفظعُ منهُ**»(١) .

٣- وعن علي ﷺ قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتىٰ نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢] .

٤- عن ابن مسعود ﷺ قال : إن أحدكم ليُجْلَسُ في قبره إجلاسًا فيقال له : ما أنت؟ فإن كان مؤمنًا قال : أنا عبد اللَّه حيًّا وميتًا ، أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيفسح له في قبره ما شاء اللَّه ، فيرىٰ مكانه من الجنة ، وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٨)، كتاب الزهد عن رسول اللَّه ﷺ، وقال : حسن غريب، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٨٧٨) .

وأما الكافر فيقال له : ما أنت؟ فيقول : لا أدري . فيقال له : لا دريت ولا تليت ، فيضيق عليه قبره حتىٰ تختلفَ أضلاعه ، أو تتماسَّ أضلاعه ، ويرسلُ عليه حيات من جوانب قبره ينهشنه ويأكلنه ، فإذا جزع فصاح قُمِعَ بمقمع من نار من حديد .

٥- عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال : أعمقوا لي قبري ، تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحًا من المسك ، قال : فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتتلقاهم الملائكة دون السماء ، فيقولون : من هذا معكم؟ فيقولون : فلان . ويذكرونه بأحسن عمله ، فيقولون : حياكم اللَّه ، وحيًّا من معكم .

قال : فتفتح له أبواب السماء ، فيشرق وجهه ، قال فيأتي الرب تعالىٰ ووجهه برهان مثل الشمس .

قال : وأما الآخر فتخرج نفسه وهي أنتن من الجيفة ، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها ، فتتلقاهم ملائكة دون السماء ، فيقولون : من هذا معكم ؟ فيقولون : فلان ويذكرونه بأسوإ عمله .

قال : فيقولون : ردوه ردوه ، فما ظلمه اللّه شيئًا . فقرأ أبو موسىٰ ﷺ ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٣٩-٤٠].

٦- عن عمير بن سلمة قال : جاء رجل إلىٰ أبي الدرداء ﷺ وهو مريض فقال : يا أبا الدرداء ؛ إنك قد أصبحت علىٰ جناح فراق الدنيا ، فمرني بأمر ينفعني اللّه به ، وأذكرك به . فقال : إنك بين أمة معافاة ، فأقم الصلاة ، وأدِّ زكاة مالك إن كان لك ، وصم رمضان ، واجتنب الفواحش ، ثم أبشر .

فأعاد الرجل علىٰ أبي الدرداء ﷺ ، فقال أبو الدرداء : اجلس ثم اعقل ما أقول لك ، أين أنت من يوم ليس لك من الأرض إلا عرض ذراعين في طول أربعة أذرع ، أقبل بك أهلُك - الذين كانوا لا يحبون فراقَك - وجلساؤك وإخوانُك ، فاتقنوا عليك البنيان ، ثم أكثروا عليك التراب ، ثم تركوك ، ثم جاءك ملكان أسودان أزرقان جَعْدان ،

أسماؤهما : منكرٌ ونكيرٌ ، فأجلساك ثم سألاك : ما أنت؟ أم علىٰ ماذا كنت؟ أم ماذا تقول في هذا الرجل؟

فإن قلت : واللّه ما أدري ، سمعت الناس قالوا قولًا فقلت قول الناس ، فقد واللّه رديت وهويت .

فإن قلت : محمد رسول اللّه أنزل عليه كتابه ، فآمنت به ، وبما جاء معه ، فقد واللّه نجوت وهديت ، ولن تستطيع ذلك إلا بتثبيتٍ من اللّه تعالىٰ ، مع ما ترىٰ من الشدة والتخويف .

٧- عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أنّه صلىٰ علىٰ منفوس ثم قال : اللهم إني أعيذه من عذاب القبر .

٨- وعن ابن أبي مليكة قال : سمعت عائشة رضي الله عنها قالت : يسلط علىٰ الكافر في قبره شجاعٌ أقرعُ ، فيأكل لحمه من رأسه إلىٰ رجليه ، ثم يكسىٰ اللحم ، فيأكل من رجليه إلىٰ رأسه ، ثم يكسىٰ اللحم ، فيأكل من رأسه إلىٰ رجليه ، فهو كذلك .

٩- عن أم خارجة مولاة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ،

أنها حضرت امرأة تموت ، فجعلت تقول لها : إنك تسألين عن ربك وعن النبي ، فجعلت تثبتها .

١٠- عن ابن عباس في قوله : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة يسلمون عليه ويبشرونه بالجنة ، فإذا مات مَشَوا مع جنازته ، ثم صَلَّوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللَّه . ويقال له : من رسولك ؟ فيقول محمد . فيقال له : ما شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله ، فيوسع له قبره مد بصره .

وأما الكافر ؛ فتنزل الملائكة فيبسطون أيديهم - والبسط هو الضرب - يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت ، فإذا دخل قبره أقعد ، فقيل له : من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئًا ، وأنساه اللَّه ذكر ذلك ، وإذا قيل له : من رسولك الذي بعث إليك ؟ لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئًا ، يقول اللَّه : كذلك يضل اللَّه الظالمين .

١١- قال عطاء والحسن البصري في قوله تعالىٰ لنبيه : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥]. قال : ضعفُ المماتِ . قال : هو عذاب القبر .

١٢- وقال قتادة : عذاب القبر ثلاثة لثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من النميمة ، وثلث من البول .

١٣- وعن عبد الله بن الشخير قال : بينما رجل يسير في أرضٍ إذ انتهىٰ إلىٰ قبر ، فسمع صاحبه يقول : آه آه . فقام علىٰ قبره ، قال : فَضَحَكَ عملُك ، وافتضحتَ .

* * *

من أقوال علماء أهل السنة في إثبات عذاب القبر ونعيمه

* قال المروزي: قال أبو عبد اللَّه - يعني الإمام أحمد -: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضَالٌ مُضِلٌ.

قال حنبل: قلت لأبي عبد اللَّه في عذاب القبر. فقال: هذه أحاديث صحاحٌ نؤمن بها ونقر بها، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به رسول اللَّه ﷺ ورفعناه ورددناه؛ رددنا على اللَّه أمره، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حقٌّ يعذبون في القبور.

قال: وسمعت أبا عبد اللَّه يقول: نؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير، وأن العبد يسأل في قبره فـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] في القبر. اهـ.

* قال الإمام الطحاوي في ذكر العقيدة الإسلامية: ونؤمن بملك الموت الموكَّلِ بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، علىٰ ما جاءت به الأخبار عن رسول اللّٰه ﷺ، وعن الصحابة رضوان اللّٰه عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران. اهـ.

* وقال الإمام القرطبي في «التذكرة»:

الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق، وأن اللّٰه تعالىٰ يحيي العبدَ المكلَّفَ في قبره برد الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه؛ ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي صلَّىٰ اللّٰه عليه وعلىٰ آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهمِ الصحابةُ - الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم - من نبيهم

عليه الصلاة والسلام غيرَ ما ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم إلىٰ هلم جرًّا. اهـ.

سبحان الملك العظيم! بعد كل ما مرَّ معنا من آيات من كلام الملك ﷻ، وأحاديثَ صحاحٍ من أصح الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ، ثم أقوالِ الصحابة رضوان اللَّه عليهم والتابعين وأكابر العلماء وإجماعِ الأمة قاطبةً علىٰ مرّ الدهور وتكرار العصورِ؛ ثم يأتي دُغموصٌ مغمورٌ مارقٌ ليطعن في عقائدِ المسلمين ويسألُ المُناظَرةَ.

علامَ تناظرُ يا هذا؟ ومن تناظرُ.

استهدِ اللَّه يهدِكَ، وسلِ اللَّه العافية.

* * *

الرد علىٰ العقلانيين المنكرين لعذاب القبر

لا يتصور هؤلاء أنْ يكون عذابٌ في القبر ، ويقولون : نحن ندفن الرجل بجوار الآخر ، ولا نرىٰ أو نسمع عمَّا تتحدثون عنه من أنَّ القبر يكون روضةً من رياض الجنة للمؤمن ، أو حفرةً من النَّار للكافر أو الفاجر .

ومنشأ هذه الشبهة هو الجهل باللَّه تعالىٰ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ لذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وكيف يستنكر من يعرف اللَّه سبحانه ، ويقر بقدرته ، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمةً منه ورحمةً بهم ؛ لأنَّهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها ، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وكثيرٌ ممن أشهده اللَّه ذلك صعق ، وغشي عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمنًا ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ، فكيف يُنكَر في الحكمة الإلهية إسبالُ غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك ، حتىٰ إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانًا .

ثم إنَّ النار التي في القبر ليست من نار الدنيا، والخضرة التي في القبر ليست من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها؛ وإنَّما هي من نار الآخرة وخضرها، وهي أشدُّ من نار الدنيا، فلا يحس به أهل الدنيا؛ فإن اللّٰه سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه حتىٰ يكون أعظم حرًّا من جَمْرِ الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب مِنْ هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلىٰ جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلىٰ جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلىٰ جاره.

وقدرة الرب تعالىٰ أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا اللّٰه من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا، إلا من وفقه اللّٰه وعصمه.

فيُفرش للكافر لوحان من نار، فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور، فإذا شاء اللّٰه سبحانه أن يطلع علىٰ ذلك بعض عبيده؛ أطلعه وغيَّبه عن غيره؛ إذ لو أطلعَ العبادَ

كلهم لزالت كلمة التكليف ، والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس ، كما روى أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**»[1] .

ولمَّا كانت هذه الحكمةُ منفيةً في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته ، كما حادت برسول الله ﷺ بغلته ، وكادت تلقيه لَمَّا مَرَّ بمَنْ يُعَذَّبُ في قبره .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

عذاب القبر ونعيمه على النفس والبدن جميعًا

أخي الحبيب :

فإذا تبين لك هذا ؛ فاعلم أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة على أنَّ عذاب القبر ونعيمه على النفس والبدن جميعًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١) - لما سئل عن هذه المسألة : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : بَلِ الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَىٰ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا ، فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمِعَيْنِ ، كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ .

ثُمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَلْيُعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا : أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ ، وَأَنَّ ذَلِكَ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٢) .

يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ ، وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَىٰ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً أَوْ مُعَذَّبَةً ، وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا ؛ فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ ، ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ أُعِيدَتِ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ أَجْسَادِهَا ، وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

واستدل - رحمه اللَّه تعالىٰ - بحديث البراء بن عازب ، قال : فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ ؛ مِنْهَا : أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَىٰ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ ؛ خِلَافًا لِضُلَّالِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَأَنَّهَا تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ ، خِلَافًا لِضُلَّالِ الْفَلَاسِفَةِ ، وَأَنَّهَا تُعَادُ إِلَىٰ الْبَدَنِ ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ فَيُنَعَّمُ أَوْ يُعَذَّبُ كَمَا سَأَلَ عَنْهُ أَهْلُ السُّؤَالِ ، وَفِيهِ أَنَّ عَمَلَهُ الصَّالِحَ أَوْ السَّيِّئَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ أَوْ قَبِيحَةٍ .

وَاستدل بما في «صحيح البخاري» عَنْ قتادة ، عَنْ أَنس ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتُوُلِّي وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ :**

انظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ» . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا . وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ . فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»[(١)] .

قَالَ قتادة : وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُمْلأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَىٰ يَوم يُبْعَثُونَ .

وَرَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» - وَأَكْثَرُ اللَّفْظ لَهُ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ الإِنْسَانَ ؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لَهُمَا مُنْكَرٌ وَالآخَرُ نَكِيرٌ . فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ فَهُوَ قَائِلٌ : مَا كَانَ يَقُولُ ؛ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولَانِ : إِنَّا كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّك تَقُولُ ذَلِكَ . ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨) ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال .

فِيهِ ، وَيُقَالُ لَهُ : نَمْ . فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ . فَيَقُولَانِ لَهُ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» .

«وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْته . فَيَقُولَانِ : إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّك تَقُولُ ذَلِكَ . ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ : الْتَئِمِي عَلَيْهِ ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ ، فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[1] .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ اخْتِلَافُ أَضْلَاعِهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ؛ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ الْبَدَنَ نَفْسَهُ يُعَذَّبُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : **«إذا حضَرَ المؤمنُ أتتهُ ملائكةُ الرحمَةِ بحريرَةٍ بيضاءَ فيقولونَ : اخُرجِي راضِيَةً مرْضِيًا عنكِ إلىٰ رَوْحٍ وريَحانٍ وربٌ غيرِ غضبان ، فيخرجُ كأطيبِ ريحِ المِسْكِ ، حتىٰ إنه ليُنَاوِلُه**

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١) ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، وقال : حسن غريب . وابن حبان في «صحيحه» (٣١١٧) . وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٨٥٦) .

بعضُهُم بعضًا، حتىٰ يأتوا بِهِ بابَ السمَاءِ فيقولون: ما أطيبَ هذا الرِّيحَ التي جَاءَتكُم مِنَ الأرضِ! فيأتون به أروَاحَ المؤمِنينَ، فلَهُمْ أشدُّ فرحًا به مِنْ أحدِكُم بغائِبِهِ يَقْدَمُ عليه، فيسْألونَهُ: ماذا فَعَلَ فُلانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلانٌ؟ فيقولون: دَعُوهُ؛ فإنهُ كان في غَمِّ الدنيا، فإذا قَالَ: أمَا أتاكُم؟ قالوا: ذُهِبَ به إلىٰ أُمِّهِ الهاويةِ.

وإن الكافِرَ إذا حَضَر أتَتْهُ ملائكَةُ العذابِ بمِسْحٍ، فيقولون: اخْرجِي سَاخِطَةً مسْخُوطًا عليكِ إلىٰ عذَابِ اللَّهِ، فيَخرُجُ كأنتَنِ ريحِ جِيفةٍ، حتىٰ يأتُوا بِها بَابَ الأرضِ، فيقولون: ما أنْتَنَ هذهِ الرِّيحَ؟ حتىٰ يأتُوا بهَا أرواحَ الكُفَّارِ»[1].

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ مُخْتَصَرًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وقال عِنْدَ

(١) أخرجه النسائي (١٨٣٣)، كتاب الجنائز، باب ما يلقىٰ به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، وابن حبان (٧٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥٢، ٣٥٣) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.
والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٠٩) و«صحيح الجامع» (٤٩٠).

ذِكْرِ الْكَافِرِ وَنَتَنِ رَائِحَةِ رُوحِهِ : فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَىٰ أَنْفِهِ هَكَذَا[١] .

و« الرَّيْطَةُ » : ثَوْبٌ رَقِيقٌ لَيِّنٌ مِثْلُ الْمُلَاءَةِ .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَنَحْوِهَا اجْتِمَاعُ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ فِي نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ ، وَأَمَّا انْفِرَادُ الرُّوحِ وَحْدَهَا ؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ ذَلِكَ .

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « **إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[٢] .

وَقَوْلُهُ : « يَعْلُقُ » - : بالضَّمِّ أَيْ يَأْكُلُ . وَقَدْ نُقِلَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٢) ، كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٦٤) ، كتاب الجنائز ، باب أرواح المؤمنين ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٣٧٣) .

قال رَحِمَهُ اللهُ : فَقَدْ أَخْبَرَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ أَنَّ الرُّوحَ تُنَعَّمُ مَعَ الْبَدَنِ الَّذِي فِي الْقَبْرِ - إِذَا شَاءَ اللَّهُ - وَإِنَّمَا تُنَعَّمُ فِي الْجَنَّةِ وَحْدَهَا ، وَكِلَاهُمَا حَقٌّ .

وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ «ذِكْرِ الْمَوْتِ» عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الرُّوحَ مُرْسَلَةٌ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ .

قال شيخ الإسلام : وَهَذَا يُوَافِقُ مَا رُوِيَ : أَنَّ الرُّوحَ قَدْ تَكُونُ عَلَىٰ أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ : إِنَّ الأَرْوَاحَ تَدُومُ عَلَىٰ الْقُبُورِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ من يَوْمِ يُدْفَنُ الْمَيِّتُ لَا تُفَارِقُ ذَلِكَ . وَقَدْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلىٰ الْبَدَنِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الْمَسْأَلَةِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي صَحَّحَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **«مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»** .

وَفِي «سُنَنِ أَبِي داود» وَغَيْرِهِ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **«إِنَّ خَيْرَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ**

الْجُمُعَةِ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» . قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْك وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ فَقَالَ : «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»[1] .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا الْبَابُ فِيهِ مِنَ الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ مَا يَضِيقُ هَذَا الْوَقْتُ عَنِ اسْتِقْصَائِهِ ، مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ الأَبْدَانَ الَّتِي فِي الْقُبُورِ تُنَعَّمُ وَتُعَذَّبُ - إِذَا شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ - كَمَا يَشَاءُ ، وَأَنَّ الأَرْواحَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مُفَارِقَةِ الْبَدَنِ وَمُنَعَّمَةٌ وَمُعَذَّبَةٌ .

وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بالسَّلَام عَلَىٰ الْمَوْتَىٰ ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح» و«السُّنَنِ» : أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ إِذَا زَارُوا الْقُبُورَ أَنْ يَقُولُوا : «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِين ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧) ، كتاب الطهارة ، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢١٢) .

الْعَافِيَةَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ»(١) .

قال شيخ الإسلام : وَقَدِ انْكَشَفَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ حَتَّىٰ سَمِعُوا صَوْتَ الْمُعَذَّبِينَ فِي قُبُورِهِمْ ، وَرَأَوْهُمْ بِعُيُونِهِمْ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فِي آثَارٍ كَثِيرَةٍ مَعْرُوفَةٍ ، وَلَكِنْ لَا يَجِبُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَىٰ الْبَدَنِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ؛ بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ .

وَفِي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَرَكَ قَتْلَىٰ بَدْرٍ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : «**يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ ، يَا أُمَيَّةُ بْنَ خَلَفٍ ، يَا عتبةُ ابْنَ رَبِيعَةَ ، يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْت مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**» . فَسَمِعَ عُمَرُ ﷺ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ . فَقَالَ :

(١) انظر «صحيح مسلم» (٩٧٥) ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، و«سنن النسائي» (٢٠٣١) ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين .

يَارَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَقَدْ جُيِّفُوا؟ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا**» ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ»[1] اهـ. مختصرًا.

شبهة ورد:

ظن بعض الأوائل أنه إذا حُرِقَ جسدُه بالنار، وصار رمادًا، وذُرِيَ بعضُه في البحر، وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا يَعْنِي أَعْطَاهُ.

قَالَ: «**فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ (يدخر) عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا؛ فَإِذَا مُتُّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

فَأَحْرِقُونِي، حَتَّىٰ إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا. فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّه»[١].

فلم يفُتْ عذابَ البرزخ ونعيمَه هذه الأجزاءُ التي صارت في هذه الحال، حتىٰ لو عُلِّقَ علىٰ رءوس الأشجار في مهابِّ الريح، لأصاب جسدَه من عذاب البرزخ حظُّه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتُّون[٢] من النار، لأصاب جسدَه من نعيم البرزخ وروحَه نصيبُه وحظُّه، فيجعل اللَّه النار علىٰ هذا بردًا وسلامًا، والهواء علىٰ ذلك نارًا وسَمُومًا، فعناصر العالم وموادها منقادة لربها وفاطرها

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٨١)، كتاب الرقاق، باب الخوف من اللَّه، ومسلم (٢٧٥٧)، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة اللَّه تعالىٰ وأنَّها سبقت غضبه.

(٢) الأتُّون - بتشديد التاء -: الموقِد.

وخالقها ، يُصَرِّفها كيف يشاء ، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده ، بل هي طَوْعُ مشيئته ، مذللة منقادة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين ، وكفر به ، وأنكر ربوبيته .

* * *

التخويف من أهوال القبور

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ ، فَيَقُولُونَ : اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًا عَنْكِ إِلَىٰ رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ ، حَتَّىٰ أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّىٰ يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الأَرْضِ ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ ، فَيَسْأَلُونَهُ : مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا . فَإِذَا قَالَ : أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا : ذُهِبَ بِهِ إِلَىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ .

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ ، فَيَقُولُونَ : اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَىٰ عَذَابِ اللَّهِ عز وجل ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ ، حَتَّىٰ يَأْتُونَ بِهِ بَابَ

الأَرْضِ ، فَيَقُولُونَ : مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ ، حَتَّىٰ يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ»(١) .

قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يومًا : يا فلان ؛ لقد بتُّ الليلة أتفكر في القبر وساكِنِه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثةٍ في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتًا تَجُول فيه الهوامُّ ، ويجري فيه الصديدُ ، وتخترقه الديدان ، مع تغير الريح وبِلَىٰ الأكفان ، بعد حُسن الهيئة ، وطِيب الريح ، ونقاءِ الثوب .

وعنه أيضًا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ شيَّع جنازةً ، فلما انصرفوا تأخر هو وأصحابه ناحية عن الجنازة ، فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين ، جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال : نعم ، ناداني القبرُ من خلفي : ياعمر بن

(١) أخرجه النسائي (١٨٣٣) ، كتاب الجنائز ، باب ما يلقىٰ به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه ، وابن حبان (٧٣٣) ، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي ، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٠٩) و«صحيح الجامع» (٤٩٠) .

عبدالعزيز ، ألا تسألني ما صنعتُ بالأحبَّة؟ قلت : بلىٰ . قال : أحرقت الأكفان ، ومزقت الأبدان ، ومصصت الدم ، وأكلت اللحم .

قال : ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلتُ : بلىٰ!

قال : نزعتُ الكتفين من الذراعين ، والذراعين من العضدين ، والعضدين من الكتفين ، والوركين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين . ثم بكىٰ ، ثم قال : ألا إنَّ الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابُّها يهْرَم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، فالمغرور من اغترَّ بها .

أين سُكَّانها الذين بنوا مدائنها ، وشقوا أنهارها ، وغرسوا أشجارها ، وأقاموا فيها أيامًا يسيرة ، غرتهم بصحتهم فاغتروا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، وإنهم كانوا - واللّه - في الدنيا مغبوطين بالمال علىٰ كثرة المنع عليه ، محسودين علىٰ جمعه .

ماذا صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ،

والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا علىٰ أَسِرَّةٍ ممهدة، وفُرُش منضدة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادِهم إن كنت مناديًا، وادعُهُم إن كنت لابد داعيًا، وسِرْ بعسكرهم، وانظر إلىٰ تقارب منازلهم التي كان بها عيشهم، وسل غنيهم ما بقي من غناه، وسل فقيرهم ما بقي من فقره، وسلهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانت إلىٰ اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان، مَحَتِ الألوان، وأَكَلَتِ اللُّحمان، وعفَّرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفِقَار، وأبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء.

وأين حُجَّابُهم وبوابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وجمعهم ومكنوزهم؟ واللَّه ما فرشوا فراشًا، ولا وضعوا هناك متكأً، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا.

أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل

والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة.

فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم ممزقة، وقد سالت الحدقات على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا - والله - إلا يسيرًا، حتى عادت العظام رميمًا.

قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السَّعة إلى المضايق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم.

فمنهم: - والله - الموسع له في قبره، الغض، الناضر فيه، المتنعم بلذاته.

ومنهم: المعذب في قبره، المضيَّقُ عليه فيه، النادم على ما فرط.

يا ساكن القبر غدًا ...

ما الذي غرك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى

لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك الناضر يَنْعُها؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلًا وهو يرشح عرقًا، ويتلظّىٰ عطشًا، يتقلب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالبُ القدرِ والقضاء، جاء من الأمر الأجلُ، ما يمتنع منه «هيهات».

يا مُغَمِّضَ الوالد والأخ والولد وغاسله . . . يا مُكَفِّن الميت وحامله . . . يا مخليه في القبر وراجعًا عنه . . . ليت شعري كيف كنت علىٰ خشونة الثرىٰ . . . ليت شعري، بأي خديك يبدأ البلىٰ . . . وأي عينيك سالت أولا . . . يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتىٰ . . . ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني من رسالة ربي!

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة، ثم مات رحمه الله.

أخي الحبيب ..

توهم نفسك حين استطار قلبك فرحًا وسرورًا ، أو مُلِئ حزنًا وعبرة ، وبفترة القبر وهول مطلعه وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك ، فمتثبِّتٌ من اللَّه – جل ثناؤه – بالقول الثابت ، أو متحيرٌ شاكٌّ مخذول .

فتوهم أصواتهما حين يناديانك لتجلس لسؤالهما إياك ؛ ليوقفاك علىٰ مسائلتهما ، فتوهم جلستك في ضيق لحدك ، وقد سقطت أكفانك علىٰ حقويك ، فتوهم ذلك ، ثم شخوصك ببصرك إلىٰ صورتهما وعظم أجسامهما ؛ فإنْ رأيتهما بحسن الصورة ، أيقن قلبك بالفوز والنجاة ، وإن رأيتهما بقبح الصورة أيقن قلبك بالهلاك والعطب ، فتوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتها وسؤالهما ، ثم هو تثبيت اللَّه إياك إنْ ثبتك ، أو تحييره إن خذلك .

فتوهم جوابك باليقين أو بالتحيُّر أو بالشك ، وتوهم إقبالهما عليك إن ثبتك اللَّه عَزَّوَجَلَّ بالسرور ، وضَربَهُما بأرجلهما جوانبَ قبرك بانفراج القبر عن النار ، ثم توهم وهي تتأجَّجُ بحريقها وإقبالها عليك ، وأنت تنظر إلىٰ

ما صرف اللَّه عنك ، فيزداد لذلك قلبك سرورًا وفرحًا ، وتوقن بسلامتك من النار بضَعْفِك .

ثم توهم ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك ، وانفراجَه عن الجنة بزينتها ونعيمها ، وقولهما لك : ياعبد اللَّه ، انظر إلىٰ ما أعدَّ اللَّه لك ، فهنا منزلك ، وهذا مصيرك ، فتوهَّمْ سرورَ قلبك وفرحَك بما عاينت من نعيم الجنان ، وبهجة ملكها ، وعلمِك أنك صائر إلىٰ ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها .

وإن كانت الأخرىٰ ؛ فتوهَّمْ خلاف ذلك كله ، من الانتهار لك ، ومن معاينتك الجنة ، وقولهما لك : انظر إلىٰ ما حرمك اللَّه عَزَّوَجَلَّ ، ومعاينتك النار ، وقولهما لك : انظر إلىٰ ما أعدَّ اللَّه لك ، فهذا منزلك ومصيرك فأعظِمْ بهذا خطرًا !! وأعظِمْ به عليك في الدنيا غمًّا وحزنًا ، حتىٰ تعلم أي الحالتين في القبر حالك !!

❊ ❊ ❊

أهوال القبور

إخوتاه..

أهوال القبور ستة :

١- **تكليم القبر .**

٢- **ضغطة القبر .**

٣- **دخول الملكين .**

٤- **سؤال الملكين .**

٥- **دخول الجليس .**

٦- **فتح باب إلىٰ الجنة وباب إلىٰ النار .**

* * *

١- تكليم القبر

فأول ما يُكلِّمُ الإنسانَ قبرُه، بمجرد أن يوضع فيه.

فتخيل - أخي الحبيب - إذا وضعك المُشيِّعون في قبرك، وأغلقوا عليك فأحكموا الإغلاق، ثم تركوك وانصرفوا، في ظل هذا الجو المخيف المُفْزِع، ظلماتٌ بعضها فوق بعض، إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، ما عساك تصنع يا عبد الله؟!

عَن أَبي هُرَيْرَة: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ[1] الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابًّا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: «**أَفَلَا كُنْتُمْ آذنْتُمُونِي**»؟ قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ -، فَقَالَ: «**دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ**»، فَدَلُّوه، فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِنَّ**

(١) أي: تنظفه من القمامة.

اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[١] . فاللهم نوِّر لنا قبورنا .

وليت الأمر يقف عند حد الظلمة والوحشة فحسب ؛ لكن ؛ تخيل نفسك في هذه الحال ، وإذا بك تفاجأ بصوتٍ يأتيك ، فتتلفت تبحث عن المتحدث فلا تجد إلا حِيطانَ القبر وجدرانه تحدثك . . تخاطبك . . يا له من هَولٍ لا كالأهوالِ . . كيف بك حين يقول لك : لا أهلًا ولا مرحبًا . . وذلك إن مِتَّ للَّه عاصيًا ، كيف بهذه البداية؟ وكيف بهذا الاستقبال؟ اللهم هَوِّنْ علينا والطف بنا يارحمن يارحيم .

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مُصَلَّاهُ ، فَرَأَىٰ نَاسًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ[٢] ، قَالَ : **«أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ لشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَىٰ الموْتُ ، فَأَكْثِرُوا من ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَاتِ - المَوْتِ - ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٩٥٦)، كتاب الجنائز ، باب الصلاة علىٰ القبر .

(٢) أي : يضحكون ، والكَشْرُ : ظهور الأسنان للضحك .

عَلَىٰ الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فيه ، يَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الغُرْبَةِ ، وأَنَا بَيْتُ الوَحْدَةِ ، وأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ .

فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ قَالَ لَهُ القَبْرُ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، أَمَا إِنْ كُنتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وَلِيتُكَ اليَومَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَىٰ صَنِيعِي بِكَ .

قال : «فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ .

وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ أَو الكَافِرُ ، قَالَ لَهُ القَبْرُ : لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا ، أَمَا إِنْ كُنتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وَلِيتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَىٰ صَنِيعِي بك» .

قال : «فَيَلْتَئِمُ عَلَيهِ ، حَتَّىٰ تَلْتَقِي عَلَيهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ» .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : بِأَصَابِعِهِ فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ قَالَ : «وَيُقَيِّضُ اللَّه لَهُ سَبْعُونَ تِنِّينًا ، لَو أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيتِ الدُّنْيَا ، فَيَنْهَشْنَه وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّىٰ يُفْضَىٰ بِهِ إِلَىٰ الْحِسَابِ» .

قالَ : قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : «**إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**»[١] .

عن عبد اللّه بن عبيد قال : بلغني أن الميت يقعد في حفرته ، وهو يسمع وَخْطَ[٢] مشيعيه ، ولا يكلمه شيء أول من حفرته ، فتقول : ويحك يا ابن آدم ؛ أليس قد حُذِّرتَني ، وحُذِّرت ضيقي وظلمتي ، ونَتَني وهَوْلي ودُودِي ، هذا ما أعددتُ لك ، فما أعددتَ لي[٣] ؟!

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠)، كتاب صفة القيامة ، وقال : حسن حديث غريب .
والحديث ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترمذي» (٤٣٧) و«ضعيف الجامع» (١٢٣١)، وذهب صاحب «التحرير المرسخ» إلى تحسينه برقم (٢٨٤ / ص : ١٥٣) .

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» : «الوَخْطُ» : الخفق والصوت على الأرض . قال القرطبي في «التذكرة» : «الوخط» : سرعة السير في المشي .

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» من رواية نعيم بن حماد في نسخته (ص : ٤١) برقم (١٦٣) ط دار الكتب العلمية ، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» : أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ، ورجاله ثقات ، ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال : بلغني . ولم يرفعه .

وروىٰ ابن عبد البر في «التمهيد» بإسناده عن ابن عائذ، عن غضيف بن الحارث، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: إن القبر يُكلِّم العبد إذا وضع فيه، فيقول: ياابن آدم، ماغرَّك بي؟ ألم تعلم أنِّي بيتُ الوحدة؟ ألم تعلم أنِّي بيتُ الظلمة؟ ألم تعلم أنِّي بيتُ الحق؟ ياابن آدم، ما غرَّك بي؟ لقد كنت تمشي حولي فَدَّادًا.

قال ابن عائذ: قلت لغضيف: ما «الفَدَّادُ» يا أبا أسماء؟

قال: بعض مشيتك يا ابن أخي أحيانًا[1].

قال غضيف: فقال عبد اللَّه بن عبيد بن عمير لعبد اللَّه ابن عمرو: فإن كان مؤمنًا وُسِّعَ له، فماذا له؟

قال: يُوسَّع له في قبره، ويجعلُ منزلُهُ أخضر، ويُعرجُ بنفسه إلىٰ اللَّه تعالىٰ[2].

---

(١) أي: تمشي ذا أملٍ كثير، وخيلاء، وسعي دائم.
راجع «النهاية» مادة: فدد.

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (١٨/ ١٤٥) ط مكتبة ابن تيمية.

وعن عبد اللَّه بن عبيد بن عمير قال : يجعل اللَّه للقبر لسانًا ينطق به ، فيقول : يا ابن آدم ، كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة[١] .

وقال أيضًا : إن القبر ليبكي ويقول في بكائه : أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الدود[٢] .

قال يزيد بن سخبرة : يقول القبر للرجل الكافر أو الفاجر : أما ذكرت ظلمتي؟ أما ذكرت وحشتي؟ أما ذكرت ضيقي؟ أما ذكرت غمِّي؟

وعن عبيد بن عمير قال : ليس من ميِّتٍ يموت إلا نادته حفرتُه التي يدفَنُ فيها : أنا بيتُ الظلمة والوحدة والانفراد ، فإن كنتَ في حياتك للَّه مُطيعًا ، كنتُ اليوم عليك رحمةً ، وإن كنتَ لربك في حياتك عاصيًا ، فأنا عليك نقمة ، أنا

(١) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٣٤١) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧١) بإسناد رجاله ثقات .

(٢) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» رقم (٣٤٢) ، وبنحوه عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤٤٣) بإسناد صحيح .

البيت الذي مَنْ دخَله مطيعًا خرج منه مسرورًا، ومن دخلني عاصيًا خرج مثبورًا.

وعن محمد بن صبيح قال: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فَعُذِّب أو أصابه بعض ما يكره، ناداه جيرانه من الموتىٰ: أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه؛ أما كان لك فينا مُعتَبَر؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا هنا وأنت في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات؟

وتناديه بقاع الارض: أيها المغتر بظهر الأرض، هلا اعتبرت بمن غُيِّبَ من أهلك في بطنِ الأرض ممن غرَّتهُ الدنيا قبلك، ثم سَبَقَ به أجلُه إلىٰ القبور، وأنت تراه محمولًا تناديه أحبته إلىٰ المنزل الذي لابد له منه.

أخا الموت ..

أين قلبك؟ أين عقلك؟ أين مشاعرك وإحساسك؟ حين تقرأ هذه النصوص ثم تتخيل الآن ما ينتظرك هناك.

كيف سيكون حالك في قبرك؟

وبم سيكلمك قبرك؟

وبم تناديك اليوم حفرتك؟

أمامك اليوم فرصة ، فأدرك قبل فوات الأوان ، ولات حين مندم .

❊ ❊ ❊

٢- ضمة القبـر

أخا الموت ..

للقبر أهوال عظيمة ، لا يمكن تصورها ولا تمثلها ، فقولنا : «ضمة القبر» شيء ، والحاصل هناك شيء آخر ، لا يستطيع تخيله إلا من حصل له ، فهذه الضمة شيءٌ ، خطير جعل رسول اللَّه ﷺ يسبح حتَّىٰ خففت الضعطة كما في حديث «دَفْنِ سعد بن معاذ رضي الله عنه» .

وإن من المؤلم حقًّا أن هذه المعاني - رغم كثرة تكرارها المُلِحّ علىٰ آذان المسلمين - لم تعد تعمل في القلوب العمل اللازم ، والشاهد علىٰ ذلك أن أكثر المستمعين لا يتأثر كثيرًا ، ومن تأثر لا يتغير ، فالمطلوب هو تغير الحال من المعصية إلىٰ التوبة والطاعة ، ومن الغفلة إلىٰ الخوف والرجاء ، ومن الرضا بالدنيا إلىٰ الحنين إلىٰ الآخرة .

وضمة القبر هولٌ شديدٌ رهيبٌ ، والأخطر فيه أنه

لا ينجو منه أحد؛ لا صالح ولا طالح، ولا صغير ولا كبير، سبحان الملك!

فاللهم خفف علينا ضغطة القبر . . آمين .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ للقبرِ ضَغْطَةً، لَوْ كانَ أحدٌ ناجيًا منها نَجَا سعدُ بنُ معاذٍ»**[1] .

وإذا كان هذا لسعد بن معاذ - زعيمِ الأنصارِ -، المقتول شهيدًا بسهم وقع في أكحله في غزوة الخندق،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٥٥، ٩٨)، وجود إسناده الحافظ العراقي كما في «تخريج الإحياء» وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٣٧٩) برقم (٣١١٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبراني في «معجمه الكبير» (١٠/ ٣٣٤) برقم (١٠٨٢٧)، (١٢/ ٢٣٢) برقم (١٢٩٧٥) من حديث ابن عباس، كذا فيه، لكن أفاد العلامة الشيخ الألباني كما في «الصحيحة» (٤/ ٢٧١) أن الذي يغلب على الظن أنه من حديث عبدالله بن عياش لا ابن عباس - والله أعلم - لفظه: «لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضم ضمة ثم روخي عنه»، والحديث صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه وشواهده في «الصحيحة» (١٦٩٥) و«صحيح الجامع» (٢١٨٠)، (٥٣٠٦).

هذا الذي اهتزَّ عرش الرحمن لموته، فما بالك بغيره؟ نسأل اللَّه السلامة.

فهذه الضغطة لا ينجو منها صالح ولا طالح، لكن الكافر يدوم ضغطه والمؤمن لا.

والمراد بضغطة القبر: التقاء جانبي القبر علىٰ الميت، فتأمل - والكلام سهل - أن تتقارب جدران القبر ويضيق القبر حتَّىٰ يضغط، علىٰ جنبيك.

حاول - أخي الحبيب - أن تستشعرها اليوم لتتوب فتنجو منها غدًا، وإن كانت النجاة مطلقًا منها مستحيلة، فلابد منها لكل أحد، ولكنْ هناك فرق بين المؤمن وغيره.

وقد قيل في سر هذه الضمة: إن أصل ذلك أن الأرض أُمُّهم، منها خلقوا وإليها يعودون، فغابوا عنها طويلًا، ثم عادوا إليها، فتضمهم ضمة والدةٍ غاب عنها ولدُها؛ والأرض مطيعة للَّه ﷻ، تغضب لغضبه وترضىٰ لرضاه ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]، فتضم المؤمنَ برفقٍ، والعاصي بعنفٍ غضبًا عليه، فقد خُلق الآدمي من هذه

الأرض، وقد أُخذ عليه العهد والميثاق في العبودية للَّه، فمن نقص من وفاء العبودية صارت الأرض عليه واجِدةً، فإذا وجدَتْهُ في بطنها ضمَّته ضمَّةً، ثم تدركه الرحمة فترحِّبُ به، وعلىٰ قدر سرعة مجيء الرحمة يتخلص من الضمة، فإن كان محسنًا فإن رحمة اللَّه قريب من المحسنين، فإذا كانت الرحمة قريبة من المحسنين لم يكن الضم كثيرًا، وإذا كان خارجًا من حدِّ المحسنين لبثَ حتىٰ تدركه الرحمة، وبذا نفهم كيف ضم القبر سعدًا ﷺ رغم اهتزاز العرش لموته؛ لأن دون البعث أهوالًا لا يسلم منها وليٌّ ولا غيره، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم: ٧٢].

قال عمر: لو كان لي طِلاعُ الأرض ذهبًا لافتديت به من هول المطلع.

وفي الحديث إشارة إلىٰ أن جميع ما يحصلُ للمؤمن من أنواع البلايا - حتىٰ في أول منازل الآخرة وهو القبر وعذابه وأهواله - خير له؛ وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية من التطهيرات ورفع الدرجات، ألا ترىٰ أن البلاء يخمد النفس ويذلها ويدهشها عن طلب حظوطها، ولو لم

يكن في البلاء إلا وجود الذلة لكفىٰ؛ إذْ مع الذلة تكون النُّصرَة.

وأهل الاستقامة يَرِدُون اللُّحودَ، وقد يكون فيهم خَصْلةٌ عليهم فيها تقصيرٌ، فيردون اللَّحدَ مع بعض التقصيرِ، غيرَ نازعين عنه، وليس ذلك بذنبٍ ولا خطيئةٍ فيُعاتَبُون في قبورهم عليه، فما بالنا نحن والذنوب كثيرةٌ والتفريطُ بالغٌ منتهاه! رب سلِّم سلِّم.

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: قال: دفن صبيٌّ، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لو أفْلَتَ أحدٌ من ضَمَّةِ القبرِ لأفلَتَ هذا الصبيُّ»**[1].

وظاهر الحديث أن الضَّمَّةَ لا ينجو منها أحدٌ - باستثناء الأنبياء - فحتَّىٰ الصبيُّ ضُمَّ، نعوذ باللَّه من ضمَّة القبر وفتنة القبر.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/١٢١) برقم (٣٨٥٨)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٣٨).

فكيف بك - أيها الحبيب - وأنتَ ساعتَها الفردُ الضعيفُ بعد أن كلَّمك قبرك، فامتلأ قلبُك رعبًا، تفاجَأُ بجدران القبر هذه تتقارب عليك وأنت تنظر، كيف بك وأنت تراها تنضم علىٰ جانبيك وأنت تشعر؟ كيف بك؟!

لقد سبَّح رسول اللَّه ﷺ وهو يستشعر هذا الضم لسعد ابن معاذ رضي الله عنه.

هل يا ترىٰ - أخي - تكون ضمةُ القبر لك ضمةَ أمٍّ حنون؟

أم هي ضمةٌ تختلف منها أضلاعك؟

إن الأرض تَغَارُ لربها فهي تضُم علىٰ قدرِ فرحِها بك وبلقائك، أو بقدر غضَبِها للَّه وحنقها[1] عليك.

أفق يا عبد اللَّه، وتجهز، واستعد، واعمل صالحًا تجده هناك في بطن الأرض.

❊ ❊ ❊

---

(١) الحنق: الغيظ.

٣- دخول الملكين

عن عطاء بن يسار قال: قال رسول اللَّه ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«ياعُمَر، كيفَ بكَ إذا أنتَ مِتَّ، فانَطَلَقَ بك قومُكَ، فَقَاسُوا لك ثَلاثَةَ أذرُعٍ في ذراعٍ وشِبْرٍ، ثم رَجعُوا إليكَ فَغسَّلُوكَ وكفَّنُوكَ وحنَّطُوكَ، ثم احَتَمَلُوكَ حتَّىٰ يَضعُوك فيهِ، ثم يُهيلُوا عليكَ التُّرابَ ويدفِنُوكَ، فإذا انصَرفُوا عنكَ أَتاكَ فَتَّانَا القَبرِ مُنكرٌ وَنكِيرٌ، أصواتُهما كالرَّعدِ القَاصِفِ، وأبصارُهُمَا كالبَرقِ الخَاطِفِ، يجُرَّانِ أشعارَهُما، ويبحَثَانِ القَبْرَ بأنيابِهِمَا فتَلْتَلاكَ وَتُرْتُرَاكَ، كيف بك عند ذلك ياعمر»**؟ فقال عمر: ويكونُ معي عَقِلي مثل عَقْلِي الآنَ؟ قال: **«نَعَم»** قال: إذن أكفيكهما[1].

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٢٧٨ - بغية)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات. وقال البيهقي في «الاعتقاد»: رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلًا. قلت: ووصله ابن بطة في «الإبانة» من حديث ابن عباس، =

تأمل أخي - هداك اللَّه - كيفية دخول هذين الملكين ، وتخيَّل صوَرَتهُما .

١- أسودان أزرقان .

٢- يجُرَّان أشعارهما .

٣- يبحثان القبر بأنيابهما .

٤- أبصارهما كالبرق الخاطف .

٥- أصواتهما كالرعد القاصفِ .

سلِّم يارب سلِّم ، نسألك الثبات ؛ فإنَّه لا يكون إلا منك .

واللَّه ، لو دخلا علىٰ أهل قرية في حياتنا هذه لماتوا من هول وفظاعة المنظر ، فكيف وهُما يدخلان عليك القبر ، وأنت وحدك في قبرك بوحشته وظُلمته مع ضعفك

= ورواه البيهقي في «الاعتقاد» من حديث عمر وقال : غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل ، ولأحمد وابن حبان من حديث عبد اللَّه بن عمر ؛ فقال عمر : أيرد إلينا عقولنا؟ قال : «نعم كهيئتكم اليوم» فقال عمر بفيه : الحجر .

وانفرادك ، سبحان اللّه العظيم ! فكم من أهوال يلاقيها العبد أوائلها بعد موته ، ولا نجاة ولا ملجأ من اللّه إلا إليه ، فتضرع - أيها المسكين - لعل اللّه يثبتك وينجيك .

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

قل لي بربك ، ماذا ستصنع إن لم يثبتك اللّه وينجيك ؟ إنها مواجهة صعبة حقًّا حين ترىٰ هذين الملكين ثم يسألك نفس هذين الملكين ، وأنت وَجِلٌ مرعوب ، فكيف ستجيب ؟ !

إن الإنسان خلق فقيرًا في الأصل ، محتاجًا لربه جل في علاه وقد نتخيل أن ذلك في دار الدنيا فحسب ؛ ولكن الحقيقة أنك لن تنفك بحالٍ عن فقرك إلىٰ اللّه وحاجتك له ؛ فهناك - في القبر - ما أظن الآن أن الإنسان يحتاجُ إلىٰ تثبيت اللّه له في حال أشد من هذه الحال .

ولكن يبدو أن المواقف كلها شديدة عصيبة وتظل دومًا محتاجًا .

أخي الحبيب ..

على حالك وما أنت فيه : ما الذي يغلب على ظنك؟

هل سيثبتك ربك لأنك حبيبه؟

أم سينساك لأنك نسيته؟

﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

* * *

٤- سؤال الملكين

أما سؤال الملكين ؛ فسبحان من يثبِّتُ القلوب !

فبعد الأهوال السابقة - تكليم القبر ، وضمة القبر ، ودخول الملكين - وما زال العبد فَزِعًا مرعوبًا تتوالىٰ المفاجآت عليه ، إذا بالمسكينِ يواجَهُ بأن هذين الملكين اللَّذَيْن أرعبَ قلبَهُ منظرُهما ، وخَلعَ قلبَهُ صوتُهُما ، يسألانه سؤالًا محددًا ، واضحًا ، صريحًا : من ربك ؟ وترىٰ الذهول وتُحِسُّ به - واللَّه - في قول الفاجر والمنافق والكافر : هاه .. هاه .. هاه .

سؤالٌ واضحٌ ومحددٌ وصريحٌ ، ويحتاج إلىٰ إجابة فورية : من ربك ؟

لا كما تعودت في الدنيا : ما اسمك ؟ بطاقتك ؟ عائلتك ؟ بلدك ؟ مؤهلاتك ؟ عملك ؟ لا .. لا شيء من هذا .

من ربك؟

ويبدو السؤال سهلًا يمكن أن يحفظه الإنسان في هذه الأيام، أو حتىٰ يدَّعِيه، أو يظن كما يفعل بعض المدلِّسينَ من أهل عصرنا الذين تعودوا الغش، فيجلسون عندَ شفير القبر فيقولون: إذا جاءك الملك فقال لك: من ربك؟ فقل: ربي اللّٰه.

هكذا بمنتهىٰ السهولة؟!! مساكين هؤلاء الناس؛ لا يدرون أن للآخرة مقاييس غير هذه المقاييس، ومعايير غير هذه المعايير، وأحوالًا غير هذه الأحوال.

من ربك؟

سؤال؛ وبمنتهىٰ الصراحة والوضوح، مطلوب الإجابة عليه الآن.

من ربك؟

واللّٰه، لن يعرف الإجابة إلا من عرف ربه في الدنيا وَعَبَدَهُ، بدليل قول المنافق والفاجر والكافر: سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلتُه.

أخي الحبيب :

من ربك ؟

هل تعرفه حقًّا ؟

هل تعرفه حقًّا .. معرفةً تجعلك تخشاه كأنك تراه ؟

هل تعرفه حقًّا .. معرفةً تدعوك إلىٰ الخضوع له والإذعان ؟

هل تعرفه حقًّا .. معرفةً تجعلك تعود إليه وتئوب ، فلا ترجو غيره ، ولا تخشىٰ أحدًا سواه ؟

هل تعرف اللَّه لكي تجيبَ عندما تُسأل : من ربك ؟

والربُّ : وليُّ النعمة ، فهل تعتقد حقًّا أنَّ ما بك من نعمةٍ فإنما هي منه وحده ، فتعيش في الدنيا تعرف وتعترف أن له النعمة والفضل والثناء الحسن .

قد يجيبُ العبد ، وقد لا يجيبُ ، ولكنَّ الملكين يستمِرَّان في طرحِ الأسئلة .

ما دينك ؟

نعم ؛ ما دينك الذي كنت تدين به ، أي تخضع له

وتعيش في كنفه ، وتلتزم بأوامره وضوابطه وشرائعه .

ما دينك .. الذي تذل له وتخضع فتعيش به يحكمك في كل حركة وسكنة من دنياك ؟

ما دينك .. الذي كنت تتحاكم إليه في قضاياك كلها ؛ في العسر واليسر ؟

ما دينك .. الذي كنت تعيش به وله وفيه ، فلا تدين للّه إلا به ؟

وأيضًا لن يجيب عن هذا السؤال إلا رجل عرف الإسلام وعاش به .

وتتوالىٰ الأسئلة ..

من نبيك ؟

وسبحان اللّه ! ثلاث كلماتٍ سهلة يسيرة بسيطة هادئة حين نقرأها الآن : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟

ولكنك حين تستشعرها كما أستشعرها أنا الآن وأنا أكتبها تحس أنَّها تحفر في أعماقِك ، تبحث عن أسرارِكَ ، تُنقِّبُ في داخِلِكَ .

أسئلة تضطَّرُ عقلَكَ إلىٰ الإذعان ، وقلبَكَ إلىٰ التبصُّر والرؤية .

مَن نبيك ؟

مَن الرجل من البشر الذي تبعته في الدنيا وسِرْت خلفه ؟

مَن الرجل الذي أطعته وأسلمته قيادتك ؟

مَن الرجل الذي رضيته قائدًا ومرشدًا ؟

مَن الرجل الذي جعلته واسطة بينك وبين هذه الدار ، فأخذت منه معتقدك ، وعرفت منه ماذا تريد وكيف تسير .

مَن هذا الرجل الذي استقيت منه عِلْمَك ومعلوماتك ؟

مَن إمامك ، وقائدك ، ومرشدك . ودليلك ، وأستاذك ، ومعلمك ، ومتبوعك ؟ ! !

وبالطبع ؛ لن يجيب عن هذا السؤال أيضًا إلا رجل عرف « محمدًا رسول اللَّه » .

وصلىٰ اللّٰه علىٰ النبي محمدٌ الذي قال : «**المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»(١) .

فأحباب النبي ﷺ مع النبي ﷺ ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨] .

وأحباب الممثلين واللاعبين معهم ، وأحباب الممثلات واللاعبات معهن ، وأحباب الكفار والمنافقين والملحدين معهم ، فانظر أين هم؟ وأنا لا أدري فقد يجيب أحدهم حين يُسأل من نبيك؟ فيقول : «بيتْهُوفِن» إن كان من أهل الموسيقىٰ ، أو يقول : «أينيشتين» إن كان من أهل العلوم والطبيعة ، أو يقول : «جَانْ جَاكْ رُسُّو» إن كان من أهل الاجتماع . أو يقول : «بيير كاروان» إذا كان من أهل الموضة .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٦١٦٨) كتاب الأدب ، باب علامة حب اللّٰه ، ومسلم (٢٦٤١) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب .

فكل من تَعلَّقَ قلبه بمتبوعٍ يلهج في الدنيا بذكره، ويسير على هديه، معجبًا بفعله، يعيش على عمله، فيسجد له هناك أحوج ما يكون إليه .

ثم تعال - أخي الحبيب - إلى حبيبك النبي ﷺ : في حديثه عن أنس رضي الله عنه - لتعرف النتيجة الفورية لهذا الامتحان الخطير نتيجة في نفس اللحظة - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ -؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِن النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِن الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا**» .

قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ .

قَالَ ﷺ : «**وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ**

مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[١] .

«كنتُ أقول ما يقول الناس»!!

قفْ عندها : «كنت أقول ما يقول الناس» تقليدًا أو عادةً ، بغير اعتقادٍ ولا عملٍ ، هذا عُذْرُهُ الذي يقدمه ، وهو ذنبه الذي أراده : «كنت أقول ما يقول الناس» .

فإياك - أخي الحبيب - أن تظل على قول الناس ؛ بل اعتقد الحق ، وتعلمه ، واعمل به ؛ لكي ينفعك هناك في آخرتك .

إنها دعوة للعلم والعمل ؛ فاعرف إجابة هذه الأسئلة اليوم - عقيدة وعملًا - تَنْجُ غدًا .

* * *

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري (١٣٧٤) ، الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر . . . واللفظ له .
ومسلم (٢٨٧٠) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه .

٥- دخول الجليس

هول آخر فظيع ؛ فلم يكد هذا العبد المسكينُ يفِيقُ من هولِ دخول الملَكين وسؤالِ الملكين ، لم يكد هذا المسكين يتمالك بعدَ الأسئلةَ المتلاحقة وردود فعلِ الإجابة المباشرة ، حتىٰ فوجئ بجدران القبر تتساقط عن داخل جديد .

من؟ . . من؟

أما إن كان من المجرمين . . من العصاة المذنبين . . أما إن كان من الظالمين . . من الطغاة الآبقين . . من الكفار الملحدين والمنافقين ، فالداخل كما يصفه رسول اللَّه ﷺ : أسود الوجْهِ ، أسودُ الثيابِ ، نتِنُ الرائِحَة ، يقولُ له العبدُ الظالِمُ : مَنْ أنتَ؟ - وتأمل هول المفاجأة الشديد . . تأمل هذا الرعب في صوت المجرم والفاجر : من أنت؟ كأنه يقول : ثم ماذا؟ وأنت ماذا؟ وماذا بعدُ؟ ثم من أنت أيضًا؟ كفىٰ . . كفىٰ . . من أنت؟

ولك أن تتخيل تلك الصورة . ليمتلأ قلبك أنت رعبًا ، داخلٌ أسودَ الوجه ، كئيبَ الوجه ، قبيحَ المنظَرِ . . وهل تكون الأعمالُ السيئةُ والذنوبُ القبيحةُ إلا كذلك .

مع ظلمة القبر . . ووحشة الانفِرادِ . . وتتابُعِ الأهوال . . وخوف المجهول .

مع كل ذلك ؛ داخلٌ أسود الوجه ، أسود الثياب .

نعم ؛ ثيابه سُودٌ ، وهل تُكسَىٰ الإنسانية بأسوَدَ من الذُّنوبِ والمعَاصِي ، فإذا ارتُكِبَتِ الذنوب اسودَّ القلب ، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا أَذْنَبَ العَبْدُ ذَنْبًا نُكِتَ في قَلْبِهِ نُكتَةٌ سوداء**»(١) فإذا كانت الذنوبُ سوَّدَت قلبك ، فستأتيك في القبر وهي شخصٌ أسود ، يلبس ثيابًا سوداء ، وأيضًا يوم القيامة تسوَدُّ الوجوه . . ما أقبحَهَا من ذنوبٍ !

(١)أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) ، والترمذي (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة ويل للمطففين ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب .
وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٦٦) .

ثم أيضًا نتن الرائحة ، كريه الرائحة . نعم ؛ ذنوب فاحت رائحتها ، فأزكمت الأنوف بقبيح الريح .

هكذا يدخل عليه عمله ، وقد مثل في صورته الحقيقية ، تحولت المعاني إلىٰ أجرام[١] ، ومن فظاعة المنظر وهول المفاجأة يقول العاصي : من أنت .

وكأنه يقول كما تقول العامة اليوم : عملك الأسود . وتمام المأساة : معك إلىٰ يوم القيامة ، نعم كأنه يقول ألا تعرفني؟ نحن أحبة وأصحاب . . كم كنت معك أنا عملك . . ذنوبك . . شهواتك . . مصائبك السوداء .

وأما إن كان من المؤمنين الصادقين المخلصين ؛ فيدخل عليه الداخل ؛ شخصٌ أبيض الوجه ، أبيض الثياب ، طيب الرائحة .

نعم ؛ كلُّ طيبٍ له كلُّ طيبٍ ، بياض ، نور ، طيبٍ ، عطر ، جمال ، زهو ، راحة ، خير ، سكينة ، طمأنينة .

هذا قبر الموحِّد - اللهم اجعلنا منهم - يدخلُ عليه

(١) أي : أجسام .

رجلٌ طيبٌ ، أبيض الوجه ، أبيض الثياب ، طيب الرائحة ، فيقول : من أنت؟ ما وجدت أطيب من ريحك ، فيقول مبشِّرًا : أنا عملك الصالح - ويزيده بشرىٰ - معك إلى يوم القيامة .

ويأتي هنا دور السؤال : إذا جاء أجلُك الآن ، ووضعوك في قبرك ، ودخل عليك جليسك ، فبمقياس أعمالك اليوم وفي هذه الساعة لو تَشخَّصَت أعمالك في صورة إنسان ، فكيف سيكون شكله؟!

إنها فرصةٌ لجَرْدِ الحسابات ، ولصناعة تمثال من أعمالك . . كل أعمالك ، يا ترىٰ ما شكل هذا الشخص . . حسِّن ما استطعت ، فالهول العظيم أنه سيكون وحده . . وحده . . جليسك في قبرك ، وأنت وحدك معه إلىٰ يوم القيامة .

حقًّا ؛ إنك تحتاج إلىٰ انتقاء هذا الجليس وصناعته ، كما تحب أن يكون لطولِ مُقَامِهِ معك ومُقَامك معه وحدَك ووحدَه . . فاعمل صالحًا تراه .

* ومن أشد الأهوال أيضًا : فجيعة إجابة السؤال : من أنت ؟

أنا عملك السيِّئ .

ثم تمام الفجيعة بقوله : معَكَ إلىٰ يوم القيامة .

يا للَّه ! جليسٌ كريهُ المنظر ، كريهُ الرائحة ؛ ثم : معك إلىٰ يوم القيامة !!

باللَّه لو جلس إليك إنسان تكرهه ، أو حتىٰ نفرت من رائحته لدقائق ، لمرَّت كأنها سِنين .

فكيف بجليسٍ كريه المنظر ، كريهِ الرائحة ، ثم يتوعدك : معك إلىٰ يوم القيامة ، إنه لهول لا كالأهوال ، شديد مقيت . . نسأل اللَّه العفو والعافية .

* * *

٦- فتح باب إلىٰ الجنة وباب إلىٰ النار

بعض الناس يعيش في حياته الدنيا كذَّابًا أو منافقًا ، أو بمعنىٰ أدق بعض الناس يعيش حياته بوجهين : وجهٍ للناس وللوضع الاجتماعي ، ووجهٍ لنفسه وشهواته وحظوطه . قال ﷺ : «**تجدُ شَرَّ النَّاسِ عندَ اللَّهِ ذَا الوجْهَين**»(١) .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

هؤلاء الناس لابد أن يفعل بهم بعد موتهم من جنس عملهم ؛ فالجزاء من جنس العمل ، فيفتح له بابٌ إلىٰ الجنة ، حتىٰ يرىٰ قصورها ، ويُشمَّ عبيرها ، ثم يغلق عنه ويقال : هذا مقعدك لو كنت أطعت اللَّه ، ثم

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٣٤٩٤) كتاب المناقب ، باب قول اللَّه تعالىٰ : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ . . . ﴾ ، ومسلم (٢٥٢٦) كتاب فضائل الصحابة ، باب خيار الناس .

يفتَحُ له بابٌ إلىٰ النار ، ويقال : هذا مقعدك ؛ لأنك عصيت الله .

كم هي حسرةٌ تقطع القلب وتمزق الفؤاد ، بعد أن رأىٰ ما يشتهي وعاينه ، فإذا به يُصرف عنه ليحلَّ به العذابُ .

ونظير ذلك ما يُفعل به في الآخرة عند تقسيم الأنوار ، كما قال جل وعلا : ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢-١٥] .

فهذا بيان حال المؤمنين يوم الحساب .

نعم ؛ كنتم معنا بأجسامكم ، وزايلتمونا بقلوبكم .

نعم؛ كنتم معنا ظاهرًا، وتعادوننا باطنًا.

نعم؛ كنتم معنا بأشخاصكم، وتخالفوننا وتؤذوننا بأعمالكم.

نعم؛ كنتم معنا توافقوننا بألسنتكم، وتخالفوننا بأحوالكم.

تربصتم، وارتبتم، وغرتكم الأماني حتىٰ جاء أمر اللَّه.

ويا لها من عقوبة رادعة! أن يرىٰ الإنسان الخير ثم يُحرَمَ منه عند تناوله، ويعطىٰ بدله أشدَّ العذاب، يالها من عقوبة، وليت الإنسانَ يتعظ.

وإنني - واللَّه - أتعجب أشدَّ العجب؛ كيف يعلم الإنسان هذا ثم يخالف متعمدًا، وهو يرىٰ ويسمع وصف حاله ومآله؟! سبحان الملك!

يقول ابن الجوزي: لولا غَيبة العاصي وقت المعاصي كان كالمعاند.

وللَّه في خلقه شئون.

يقول ابن القيم : ولله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلا هو .

أما فعل ذلك بالمؤمن الصادق الموحد ؛ أن يفتح له باب إلىٰ النار ثم يغلق عنه ويقال : هذا مقعدك لو كنت عصيت الله ، ثم يفتح له باب إلىٰ الجنة ليرىٰ الفرق وليتضِحَ له النعيم الذي هو فيه ، فكم بين المقعدين ، ليحمد الله ، وبالضد تتميز الأشياء .

وهذه الأهوال الثلاثة الأخيرة مجتمعة لدليلها تفصيلًا في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده» ، وأهل السنن ، وصححه جماعة من العلماء ، والشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» وغيره عن البراء بن عازب ﷺ أنه قال : «خَرجْنا مع النبي ﷺ في جنَازةِ رجلٍ من الأنصَار ، فانتهينا إلىٰ القبر ولمَّا يُلحَدْ ، فجلس رسول الله ﷺ مستقبلَ القِبلة ، وجَلَسْنا حولَهُ ، وكأنَّ علىٰ رءوسِنَا الطَّيرَ ، وفي يَدهِ عودٌ يَنكُتُ في الأرضِ ، فجعَلَ ينظرُ إلىٰ السَّماء ، وينظرُ إلىٰ الأرضِ ، وجعلَ يرفعُ بصَرَهُ ويخفِضُه−

ثلاثًا - فقال : « **استَعِيذُوا باللَّهِ مِنْ عذابِ القَبرِ** » - مَرتين أو ثلاثًا - ، ثم قال : « **اللهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبرِ** » - ثلاثًا - ثم قال : « **إن العَبدَ المؤمِنَ إذا كَانَ في انقِطَاعٍ مِنَ الدُّنيا ، وإقبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إليهِ ملائِكَةٌ مِنَ السَّماءِ ، بيضُ الوجُوهِ ، كأنَّ وجوهَهُم الشَّمس ، مَعهُم كَفَنٌ مِن أكفانِ الجَنَّةِ ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنَّةِ ، حتَّىٰ يَجلسُوا مِنهُ مَدَّ البَصَرِ ، ثم يَجِيءُ مَلَكُ المَوتِ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **، حتَّىٰ يجلِسَ عِندَ رأسِهِ ، فيقُولُ : أيتُهَا النَّفسُ الطَّيبَةُ** - وفي روايةٍ : **المُطْمَئِنةُ** - ، **اخرُجِي إلىٰ مَغفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ ورِضوانٍ** » ، قال : « **فتخرُجُ تسِيلُ كمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِن فِيِّ السِّقَاءِ ، فيأخُذُهَا** » .

وفي رواية : « **حتىٰ إذا خَرَجَتْ روحُهُ صلَّىٰ عليه كُلُّ مَلَكٍ بين السَّماءِ والأرْضِ ، وكلُّ مَلَكٍ في السَّماءِ ، وفُتِّحَتْ له أبوابُ السَّماءِ ، ليسَ مِنْ أهلِ بَابٍ إلا وهُم يدْعُونَ اللَّهَ أنْ يُعرَجَ برُوحِه مِنْ قِبلَهِم** » .

« **فإذَا أخَذهَا لمْ يدَعُوها في يَدِهِ طَرفَةَ عَيْنٍ حتَّىٰ**

يأخُذُوهَا، فيجَعلُوهَا في ذَلكَ الكَفَنِ، وفي ذَلِكَ الحَنُوطِ، فذلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ويخرُجُ مِنهَا كأطْيَبِ نفحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْهِ الأرْضِ»، قال: «فيَصْعَدُونَ بها فلا يَمُرُّونَ - يعني - بِهَا عَلَىٰ مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلا قَالُوا: ما هَذا الرُّوحُ الطَّيِّب؟ فيقولُونَ: فُلانُ ابنُ فُلانٍ - بأحْسَنِ أسْمَائِه التي كَانُوا يُسمُّونَهُ بها في الدُّنيا، حتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا، فيَسْتَفْتِحونَ له، فيُفتحُ لهُم، فيُشَيِّعُهُ مِنْ كلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوها، إلىٰ السَّماءِ تَلِيهَا، حتّىٰ يُنْتَهَىٰ به إلىٰ السَّماءِ السَّابِعةِ، فيقولُ اللَّه عَزَّوَجَلَّ: اكتُبوا كِتَابَ عبدِي في عِلِّيِّينَ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩-٢١] فيُكتَبُ كتابُهُ في علِّيِّين، ثم يقَالُ: أعِيدُوه إلىٰ الأَرْضِ، فإنِّي وعدْتُهم أنِّي مِنهَا خلقتُهُم، وفِيهَا أُعِيدُهُم ومِنْهَا أُخرِجُهُمْ تارةً أُخرَىٰ»، قال: «فيُرَدُّ إلىٰ الأَرْضِ، وتُعَادُ روحُهُ في جَسَدِهِ»، قال: «فإنَّهُ يَسمَعُ خَفقَ نِعَالِ أصحَابِهِ إذا وَلَّوْا عنهُ مُدبِرينَ، فيَأتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الانْتِهَارِ فيَنْتَهِرَانِه، ويُجْلِسَانِهِ، فيقُولان له: مَنْ ربُّكَ؟ فيقول: ربِّيَ اللَّه، فيقولان له: ما دِينُكَ؟

فيقول : دِينيَ الإسلامُ ، فيقولان له : ما هَذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُم؟ فيقُوْل : هو رَسُول اللَّهِ ﷺ ، فيقولان له : ومَا عِلْمُكَ؟ فيقول : قرأتُ كِتَابَ اللَّهِ ، فآمَنْتُ به ، وصَدَّقْتُ ، فينادي مُنادٍ في السَّمَاءِ : أنْ صَدَقَ عبدِي ، فأفرِشُوه مِنَ الجَنَّةِ ، وألبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وافتَحُوا لهُ بَابًا إلىٰ الجَنَّةِ» ، قال : «فيَأتِيهِ مِنْ رَوحِهَا وطِيبِهَا ، ويُفسَحُ له فِي قَبرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» .

قال : «ويأتيه – وفي رواية : يُمَثَّلُ لهُ – رجُلٌ حَسَنُ الوجْهِ ، حَسَنُ الثِّيابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فيقُولُ : أبْشِرْ بالذِي يَسُرُّكَ ، أبشِرْ بِرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ، هَذَا يومُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ ، فيقُولُ له : وأنتَ فبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، مَنْ أَنْتَ؟ فوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بالخَيْرِ ، فَيقُولُ : أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فواللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إلا كُنْتَ سَرِيعًا في طَاعَةِ اللَّهِ ، بَطِيئًا في مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فجَزَاكَ اللَّهُ خَيرًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ له بَابٌ مِنَ الجَنَّةِ ، وبَابٌ مِنَ النَّارِ ، فيُقَالُ : هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ عَصَيتَ اللَّهَ ، أبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ هَذَا ، فإذَا رَأَىٰ مَا فِي الجَنَّةِ قَالَ : رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ ، كَيمَا أرْجِعَ إلىٰ أَهْلِي وَمَالِي ، فيُقَالُ له : اسْكُنْ» .

قال : «وإنَّ العَبْدَ الكَافِرَ - وفي رواية : الفَاجِرَ - إذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وإقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إليهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ، سُودُ الوُجُوهِ ، مَعَهُمْ المُسُوحُ مِنَ النَّارِ ، فيَجْلِسُونَ مِنهُ مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يجِيءُ مَلَكُ المَوتِ حتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فيقُولُ : أَيَّتُها النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلىٰ سَخَطٍ مِنَ اللَّه وَغضَبٍ ، قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الكَثِيرُ الشُّعبِ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ ، فَتُقْطَعُ مَعَهَا العُرُوقُ والعَصَبُ ، فيَلْعَنُهُ كلُّ مَلَكٍ بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، وكُلُّ مَلَكٍ في السَّمَاءِ ، وتُغْلَقُ أبوابُ السَّمَاءِ ، ليسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إلا وهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَلَّا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ ، فَيأْخُذُهَا ، فإذَا أَخَذَهَا ، لَمْ يَدعُوهَا في يَدِهِ طَرفَةَ عَينٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ ، ويَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ ، فيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلَا قَالُوا : مَا هَذَا الرَّوحُ الخَبِيثُ؟ فيقُولُونَ : فُلانُ ابنُ فُلانٍ - بأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ التي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا في الدُّنْيَا - حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إلىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلا يُفْتَحُ لهُ ، ثمَّ قَرَأَ رسُولُ اللَّه ﷺ : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ

حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقولُ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ، ثُمَّ يُقال: أَعِيدُوا عَبْدِي إِلَىٰ الأَرْضِ فإِنِّي وَعَدْتُهم أنِّي مِنهَا خَلَقْتُهم، وفِيهَا أُعِيدُهُمْ، ومِنهَا أُخرِجُهُمْ تَارَةً أُخرَىٰ، فَيُطْرَحُ رُوحُهُ مِنَ السَّمَاءِ طَرْحًا، حَتَّىٰ تَقَعَ فِي جَسَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»، قَالَ: «فإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفقَ نِعَالِ أصْحَابِهِ إذا وَلَّوا عَنْهُ.

وَيأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الانْتِهَارَ، فَيَنْتَهِرَانِهِ، ويُجْلِسَانِهِ، فيقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي، فيقُولَانِ لَهُ، مَا دِينُكَ؟ فيقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أدري، فيقُولَانِ: فَمَا تقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الذي بُعِثَ فِيكُم؟ فَلا يَهتَدِي لاسْمِهِ، فيُقَالُ: مُحَمَّدٌ! فيقول: هَاهْ هَاهْ لا أدري سَمِعْتُ النَّاسَ يقُولُونَ ذَاكَ» قَالَ: «فيُقَالُ: لا دَرَيْتَ، ولَا تَلَوْتَ، فيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أنْ كَذَبَ عَبْدِي، فأفرِشُوا له مِنَ النَّارِ، وافْتَحُوا لهُ بَابًا إِلىٰ النَّارِ، فَيأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسمُومِهَا، ويُضَيَّقُ عليهِ قَبْرُهُ حتَّىٰ تَختَلِفَ أضْلَاعُهُ، وَيأْتِيهِ - وفي

رواية : ويُمَثَّلُ لَهُ - رَجُلٌ قَبيحُ الوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فيقُولُ : أبْشِرْ بالذِي يَسُوءك ، هَذَا يَومُكَ الذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فيقولُ : وأنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ مِنْ أَنْتَ ؟ فَوجْهُكَ الوَجْهُ الذي يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فيَقُولُ : أنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ ، فوَاللَّهِ ما عَلِمْتُك إلا كُنتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيعًا إلىٰ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ، ثُم يُقَيَّضُ لَهُ أَعمَىٰ أَصَمُّ أبْكَمُ في يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لو ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرابًا ، فَيَضربُهُ ضَرْبَةً حتىٰ يَصِيرَ بِها تُرابًا ، ثمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخرَىٰ ، فيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيءٍ إلا الثَّقَلَينِ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَه بَابٌ مِنَ النَّارِ ، ويُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ ، فيقُولُ : ربِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ »[1] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ٣٧ - ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ و ٢٩٥ ، ٢٩٦) - والسياق له - والآجري في «الشريعة» (٣٦٧ - ٣٧٠).
وقال الحاكم : «صحيح علىٰ شرط الشيخين» . وأقره الذهبي ، وهو كما قالا ، وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٤) و«تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعيم وغيره، وصححه الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» (٢٠٠ - ٢٠٢) و«صحيح الجامع» (١٦٧٦) .

أسباب عذاب القبر

بعد أن مَرَّ معنا أخي الكريم - هداك اللَّه - هذه الأهوالُ العظيمةُ والكرباتُ المهولةُ في القبر وأَعْظِمْ بها من أهوالٍ أسألُ اللَّه أن يُنَجِّينا منها - وجب - إن كان لك قلبٌ قد ارتَجَفَ - أن يتطلعَ هذا القلبُ ويتشوَّفَ للنجاة، وهذه أول أسباب النجاة من هذه الأهوالِ.

أن يكون قلبُك متشوِّفًا متشوِّقًا متطلعًا إلىٰ عمل صالح ترجو به ثوابَ اللَّه، فإليك - أخي الكريم - أسبابَ عذابِ القبر؛ لتتجنبها، وأسبابَ النجاة؛ لتعملَ بها، وأكونَ قد بلغت: اللهمَّ فاشهدْ.

قال ابن القيم في «كتاب الروح»:

قول السائل: ما الأسباب التي يُعذب بها أصحاب القبور؟

جوابها من وجهين: مُجمل، ومفصَّلٍ.

أما المجمل: فإنهم يُعذبون علىٰ جهلهم باللَّه، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يُعذِّبُ اللَّهُ رُوحًا عرفتْهُ وأحبتْهُ، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا؛ فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثرُ غضبِ اللَّه وسَخَطه علىٰ عبده، فمن أغضب اللَّه وأسخطه في هذه الدارِ ثم لم يتب ومات علىٰ ذلك؛ كان له من عذاب البرزخ بقدرِ غضب اللَّه وسخطه عليه، فمستقلٌ ومستكثرٌ، ومُصدِّقٌ ومكذِّبٌ.

وأما الجواب المفصل:

١- المشي بين الناس بالنميمة، وعدم الاستبراء من البول:

فقد أخبرَ النبي ﷺ عن الرجلين الَّذين رآهما يُعذبان في قبورهما؛ يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويتركُ الآخر الاستبراءَ من البول.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَكَانَ**

يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ : «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[(١)] .

قال ابن القيم : فهذا تَرَكَ الطهارةَ الواجبة ، وذلك ارتكبَ السببَ الموقع للعداوة بين الناس بلسانه ، وإن كان صادقًا ، وفي هذا تنبيه علىٰ أن المُوقِعَ بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا ، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهًا علىٰ أن مَن تَرَكَ الصلاة - التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها - فهو أشدُّ عذابًا . اهـ .

٢- من صلىٰ صلاة بغير وُضوء ، ومن لم ينصر مظلومًا :

والدليل حديث ابن مسعود ﷺ في الذي ضرب سوطًا ، امتلأ القبر عليه به نارًا ؛ لكونه صلىٰ صلاة واحدة بغير طهور ، ومر علىٰ مظلوم فلم ينصره .

(١)متفق عليه ، أخرجه البخاري (٢١٨) ، كتاب الوضوء ، باب ما جاء في غسل البول ، ومسلم (٢٩٢) ، كتاب الطهارة ، باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه .

٣- من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق ، ومن يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار ، وارتكاب الزنىٰ وأكل الربا .

يدلُّ عليه حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا**»؟ قَالَ : فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدٌ قَصَّهَا ، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ : «**هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا**»؟ قُلْنَا لَا : قَالَ : «**لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ ؛ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي ، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ ، يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا ، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ ، قُلْتُ : مَا هَذَا؟ قَالَا : انْطَلِقْ .**

فَانْطَلَقْنَا ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَىٰ

هَذَا حَتَّىٰ يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ قَالَا : انْطَلِقْ .

فَانطَلَقْنَا إِلَىٰ ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ ، أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا ، حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا ، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ قَالَا : انْطَلِقْ .

فَانطَلَقْنَا ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ وَسَطِ النَّهَرِ ، وَعَلَىٰ شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا؟ قَالَا : انْطَلِقْ .

فَانطَلَقْنَا ، حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا ، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا ، فَصَعِدَا بِي

الشَّجَرَة ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ ، قُلْتُ : طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ .

قَالَا : نَعَمْ ؛ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ : فَكَذَّابٌ ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ : فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ : فَهُمُ الزُّنَاةُ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ : آكِلُو الرِّبَا ، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ : إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ : فَأَوْلَادُ النَّاسِ ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ : مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ ، وَالدَّارُ الأُولَىٰ الَّتِي دَخَلْتَ : دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ : فَدَارُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَنَا جِبْرِيلُ ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ .

قَالَا : ذَاكَ مَنْزِلُكَ ، قُلْتُ : دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي ، قَالَا : إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦)، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين .

وتقدم حديث أبي هريرة ﷺ ، الذي فيه رضْخُ رءوس أقوامٍ بالصخر ، لتثاقل رءوسهم عن الصلاة ، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم ؛ لتركهم زكاة أموالهم ، والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث ؛ لزناهم ، والذين تُقْرضُ شفاههم بمقاريض من حديد ؛ لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب .

وتقدم حديث أبي سعيد ﷺ ، وعقوبة أرباب تلك الجرائم ؛ فمنهم مَنْ بطونهم أمثال البيوت ، وهم علىٰ سابلة آل فرعون ، وهم أكلة الربا ، ومنهم من تفتح أفواههم فيُلقَمُون الجمر حتىٰ يخرج من أسافلهم ، وهم أكلة أموال اليتامىٰ ، ومنهم المعلقات بثديهن ، وهن الزواني ، ومنهم من تُقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم ، وهم المغتابون ، ومنهم من لهم أظفارٌ من نُحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، وهم الذين يغمتون[1] أعراض الناس ، وقد

---

(١) يقال : «غَمِتَ اللحم» وهو أن يكثر من أكله حتىٰ تصيبه تخمة ، والمراد هنا : الوقوع في أعراض الناس بالعيب والسب ، علىٰ حد قوله تعالىٰ : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾ والله أعلم .

أخبرنا النبي ﷺ عن صاحب الشَّمْلة التي غلَّها من المَغْنَم، أنها تشتَعلُ نارًا في قبره هذا، وله فيها حقٌّ، فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه؟!

قال ابن القيم: فعذابُ القبر عن معاصي القلب، والعين، والأذن، والفم، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله.

فالنمام، والكذاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصَنِ، والموضِعُ[1] في الفتنة، والداعي إلىٰ البدعة، والقائل علىٰ الله ورسوله ما لا علم له به، والمجازف في كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامىٰ، وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق، أو مال المُعاهد، وشارب المسكر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة، والزاني، واللوطي، والسارق، والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر، وآخذ الربا، ومعطيه، وكاتبه، وشاهداه، والمحلِّل، والمحلَّل له، والمحتال علىٰ إسقاط فرائض

(١) أي: المسرع فيها من «الإيضاع»، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ولأَوْضَعُوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾.

اللَّه وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل اللَّه، والمفتي بغير ما شرعه اللَّه، والمعين علىٰ الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم اللَّه، والملحد في حرم اللَّه، والمعطل لحقائق أسماء اللَّه وصفاته الملحد فيها، والمقدِّم رأيه وذوقه وسياسته علىٰ سنة رسول، والنائحة، والمستمع إليها، ونواحو جهنم - وهم المغنون الغناء الذي حرمه اللَّه ورسوله - والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد علىٰ القبور، ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمُطَفِّفون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهَضْم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون، والمتكبرون، والمراءون، والهمازون واللمازون، والطاعنون علىٰ السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجِّمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خَوَّفته باللَّه وذَكَّرته به لم يَرْعَوِ ولم ينزجر؛ فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوىٰ وكَفَّ عما هو فيه، والذي يُهْدَىٰ بكلام اللَّه ورسوله فلا يهتدىٰ ولا يرفع به رأسًا، فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ

عَضَّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه ، والذي يُقرأُ عليه القرآنُ فلا يؤثر فيه ، وربما استثقل به ، فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنىٰ ومادة النفاق طاب سِرُّه ، وتواجد ، وهاج من قلبه دواعي الطرب ، ووَدَّ أن المغني لا يسكت ، والذي يحلف باللَّه ويكذب ، فإذا حلف بالبندق ، أو برئ من شيخه ، أو قريبه ، أو سراويل الفتوة ، أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين - لم يكذب ولو هُدِّد وعوقب - والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه ، وهو المجاهر ، والذي لا تأمنه علىٰ مالك وحرمتك ، والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخَلْقُ اتقاء شره وفحشه ، والذي يؤخر الصلاة إلىٰ آخر وقتها وينقرها ، ولا يذكر اللَّه فيها إلا قليلًا ، ولا يؤدي زكاة ماله طيبةً بها نفسُه ، ولا يحج مع قدرته علىٰ الحج ، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها ، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة ، ولا يبالي بما حصل من المال من حلال أو حرام ، ولا يَصِلُ رحمه ، ولا يرحم المسكين ، ولا الأرملة ، ولا اليتيم ، ولا الحيوان البهيم ؛ بل يَدُعُّ اليتيم ، ولا يَحُضُّ علىٰ طعام المسكين ، ويرائي

للعالمين ، ويمنع الماعون ، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه ، وبذنوبهم عن ذنبه .

قال ابن القيم :

فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها ، وقلتها ، وصغيرها ، وكبيرها ، ولما كان أكثر الناس كذلك ، كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل ؛ فظواهر القبور ترابٌ ، وبواطنها حَسَرات وعذابٌ ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات ، وفي باطنها الدواهي والبليات ، تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها - ويحق لها - وقد حِيلَ بينها وبين شهواتها وأمانيها .

تاللَّه ، لقد وَعَظَتْ فما تركت لواعظ مقالًا ، ونادت : ياعمار الدنيا ، لقد عمرتم دارًا مُوشِكَةً بكم زوالًا ، وخربتم دارًا أنتم مسرعون إليها انتقالًا ، عمرتم بيوتًا لغيركم منافعها وسكناها ، وخربتم بيوتًا ليس لكم مساكن سواها ، هذه دار الاستباق ، ومستودَعُ الأعمال ، وبَذْرُ الزرع ، وهذه محل للعبر ؛ رياض من رياض الجنة ، أو حفر من حفر النار .

كيف تنجو من عذاب القبر؟

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ - :

الأسباب المنجية من عذاب القبر جوابها أيضًا من وجهين : مجمل ومفصَّل .

أما المجمل فهو : تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر ، ومن أنفعها : أن يجلس الرجل عندما يريد النوم للَّه ساعة يحاسب نفسه فيها علىٰ ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين اللَّه ، فينام علىٰ تلك التوبة ، ويعزم علىٰ أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كُلَّ ليلة ؛ فإن مات من ليلته مات علىٰ توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلًا للعمل مسرورًا بتأخير أجله حتىٰ يستقبل ربه ويستدرك ما فاته ، وليس للعبد أنفع من هذه النومة ، ولا سيما إذا عَقَّبَ ذلك بذكر اللَّه واستعمال السنن التي وردت عن رسول اللَّه ﷺ عند النوم حتىٰ يغلبه

النوم ، فمن أراد اللَّه به خيرًا وفقه لذلك ، ولا قوة إلا باللَّه .

وأما الجواب المفصل : فهناك بعض الأعمال التي تنجي فاعلها من عذاب القبر ، وهي :

١- الرباط في سبيل اللَّه :

ما رواه مسلم في « صحيحه » ، عن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **« رِبَاطُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ ، وإِنْ مَاتَ مُرَابِطًا أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُه الذِي كَانَ يَعْمَلُه ، وأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُه ، وأَمِنَ الفَتَّانَ »**[١] .

٢- الموت يوم الجمعة أو ليلتها :

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، أو لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إلا وَقَاهُ اللَّهُ تَعَالىٰ فِتْنَةَ القَبْرِ »**[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط في سبيل اللَّه .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) ، والترمذي (١٠٧٤) كتاب الجنائز ، باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة ، وصححه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٥٦٤٩) .

٣- الشهيد :

عن المقدام بن معديكرب ، عن النبي ﷺ قال : «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّه سَبْعُ خِصَالٍ : يُغفرُ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، ويَرىٰ مَقْعَدَه مِنَ الجَنَّةِ ، ويُحَلَّىٰ حُلَّةَ الإِيمَانِ ، ويُزوَّجُ اثْنَتَينِ وسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، ويَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، ويُوضَعُ عَلَىٰ رأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ ، اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيهَا ، ويُشَفَّعُ في سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»[(١)] .

وفي «سنن النسائي» عن راشد بن سعد عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ أن رجلًا قال : يارسول اللَّه ، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال : «**كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً**»[(٢)] .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣١)، والترمذي (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، وابن ماجه (١٧٩٩) كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل اللَّه . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٥٨) .

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٥٣) كتاب الجنائز، باب الشهيد . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٥٩) .

* وقوله ﷺ : «**كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتنَةً**» .

معناه – والله أعلم – : قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف علىٰ رأسه فلم يفر ، فلو كان منافقًا لما صبر وبارقة السيف علىٰ رأسه ، فدل علىٰ أن إيمانه هو الذي حملُه علىٰ بذل نفسه لله ، وتسليمها له ، وهاج من قلبه حَمِيَّةُ الغضب لله ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته ، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل ، فاستغنىٰ بذلك عن الامتحان في قبره .

٤- قراءة سورة تبارك :

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «**سُورَةُ «تبَارَكَ» هِيَ المَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»[(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «**إنَّ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ له وهِيَ : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾** [الملك: ١] »[(٢)] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٤٩٨) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٣٧) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٠٠) كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي ، =

٥- داء البطن :

عن خالد بن عرفطة وسليمان بن صرد ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : «مَنْ قَتَله بَطْنُه لَمْ يُعَذَّبْ في قَبْرِهِ»[١] .

٦- الوضوء والصلاة :

في حديث عبد الرحمن بن سمرة يقول ﷺ : «إِنِّي رَأَيْتُ البَارِحَةَ عَجَبًا ؛ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدِ احْتَوَشَتْهُ مَلائِكَةُ العَذَابِ ، فَجَاءَهُ وُضُوءُهُ فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ القَبْرِ ، فَجَاءَتْهُ صَلاتُهُ فاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ»[٢] .

= والترمذي (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الملك ، وابن ماجه (٣٧٨٦) كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٨٧) .

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٢ ، ٢٩٢) ، والترمذي (١٠٦٤) كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الشهداء من هم ، والنسائي (٢٠٥١) كتاب الجنائز ، باب من قتله بطنه . وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٣٧) .

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٩) وقال : «رواه الطبراني بإسنادين ، في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي ، وكلاهما ضعيف» .

وكان شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث، ويقول: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث.

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» - والسياق له - والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ المَيِّتَ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ إنَّه يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وكانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وكانتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وكانَ فِعْلُ الخَيْراتِ مِنَ الصَّدقَةِ والصِّلَةِ والمَعْرُوفِ والإِحْسَانِ إلىٰ النَّاسِ عِنْدَ رجلَيْهِ، فَيُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنت يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رِجلَيْهِ، فيقولُ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدقةِ والصِّلةِ والمَعْرُوفِ والإِحْسَانِ إلىٰ النَّاسِ: ما قَبْلِي مَدْخَلٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ. فَيَجْلِسُ وقَدْ مثلَتْ له الشَّمْسُ وَقَدْ أُذنِيَتْ لِلْغُرُوبِ. فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الذِي كَانَ فِيكُمْ ما تَقُولُ فِيهِ؟ ومَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟**

فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ . فيقولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ ومَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، أَشْهَدُ أَنَّه رَسُولُ اللَّهِ ، وأَنَّه جَاءَ بالحَقِّ مِنْ عِنْد اللَّه . فَيُقَالُ له : عَلَىٰ ذَلِكَ حَيِيتَ ، وَعَلَىٰ ذلك مُتَّ ، وعَلَىٰ ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّه .

ثم يُفْتَحُ له بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ فيقَالُ له : هذا مَقْعَدُكَ مِنها ، وما أَعَدَّ اللَّه لَكَ فِيهَا ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّه لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَه ، فَيَزدَادُ غِبْطةً وسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، ويُنَوَّرُ له فِيهِ ويُعَادُ الجَسَدُ لما بَدَأَ مِنْهُ ، فَتُجْعَلُ نسَمتُهُ في النَّسَم الطَّيِّبِ ، وهي طَيْرٌ يعلَقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ قَالَ : فَذَلِكَ قولُه تعالىٰ : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] » .

قال : « وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رأسِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيءٌ ،

ثم أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ ، ثم أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ فلا يُوجَدُ شَيءٌ ، ثم أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ ، فيقالُ له : اجْلِسْ . فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا . فَيُقَالُ له : أَرَأَيْتَكَ هذا الرَّجُلَ الذي كَانَ فِيكُم مَاذَا تَقُولُ فيه ؟ ومَاذَا تَشْهَدُ به عليه ؟ فيقولُ : أيُّ رَجُلٍ ؟! فُيقَالُ : الذِي كَانَ فيكُمْ . فلا يَهْتَدِي لاسمِهِ حتىٰ يُقَالَ له : مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ . فَيُقَالُ له : عَلَىٰ ذَلِكَ حَيِيتَ وعَلَىٰ ذَلِكَ مُتَّ ، وعَلَىٰ ذَلِكَ تُبعثُ إن شاء اللَّه . ثم يُفْتَحُ له بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فيُقَالُ له : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وما أعدَّ اللَّه لَكَ فِيهَا ، فيزدادُ حَسْرةً وثُبُورًا ، ثم يُفتَحُ له بَابٌ مِنْ أبوابِ الجَنَّةِ ، فيقالُ له : ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الجَنَّةِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّه لَكَ فيه لو أَطَعْتَهُ ، فيزدَادُ حَسْرَةً وثُبُورًا ، ثم يَضيقُ عليه قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فيه أَضْلَاعُهُ ، فَتلكَ المَعِيشَةُ الضَنْكَةُ التي قَالَ اللَّه : ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] »[(١)] .

وكان أبو ذر الغفاري ﷺ يقول : يا أيها الناس ، إني

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣١١٤)، والحاكم (١/ ٣٧٩)، وإسناده حسن .

عليكم ناصح ، إني عليكم شفيق ، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير ، ياأيها الناس ، إني لكم ناصح ، إني عليكم شفيق .

وها أنا أقول : إني لكم ناصحٌ ، إني عليكم شفيقٌ ، اعملوا صالحًا لوحشة القبور .

❊ ❊ ❊

س و ج في عذاب القبر

س١ : هل النفس هي الروح؟ أم هما متمايزتان؟

ج١ : النفس تطلق علىٰ أمور ، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولهما تارة ، ويختلف تارة ؛ فالنفس تطلق علىٰ الروح ، ولكن غالب ما يسمىٰ نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن ، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح لها أغلب ، ويطلق علىٰ الدم ، وعلىٰ الذات ، وعلىٰ العين .

والروح تطلق علىٰ القرآن ، وعلىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وعلىٰ الهواء المتردد في بدن الإنسان .

س٢ : هل تموت الروح؟

ج٢ : قالت طائفة : تموت ؛ لأنها نفس ، وكل نفس ذائقة الموت ، وقد قال تعالىٰ : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٦]، وإذا كانت الملائكة تموت ؛ فالنفوس البشرية أولىٰ بالموت . وقيل : تصعق عند نفخة الصور .

قال ابن أبي العز الحنفي شارح «الطحاوية»: والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منه، أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنىٰ بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، وقد قال تعالىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.

س٣: هل يدوم عذاب القبر أو أنه ينقطع؟

ج٣: عذاب القبر نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، وهو في الممحِّصات.

س٤: أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلىٰ قيام الساعة؟

ج٤: يتلخص من أدلة الشرع أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظمَ تفاوتٍ.

فمنها : أرواح في أعلىٰ عليين في الملإ الأعلىٰ ، وهي أرواح الأنبياء ، وهم أيضًا متفاوتون في منازلهم .

ومنها : في حَواصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت ، وهي أرواح بعض الشهداء .

ومنها : من أسلف سافلين ، وهي أرواح الكفار والمجرمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

س٥ : هل يعلم الميت بزيارة الأحياء وسلامهم؟

ج٥ : خلاصة البحث والتحقيق في هذه المسألة : أن الموتىٰ لا يسمعون ، وأن هذا هو الأصل ، فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال - كما في حديث «خفق النعال» عن أنس ، وحديث «قليب بدر» - فلا ينبغي أن نجعل ذلك أصلًا ؛ بل يقتصر علىٰ القول بسماع ما ورد الأثر بسماعه ، وهذا مذهب طوائف من أهل العلم كما قال الحافظ ابن رجب .

وما أحسنَ ما قال ابن التين : إن الموتىٰ لا يسمعون بلا شك ، لكن إذا أراد اللَّه إسماعَ ما ليس من شأنه السماع ؛

لم يمتنع ، كقوله تعالىٰ : ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

س٦ : هل سؤال القبر خاص بهذه الأمة أو لا ؟

ج٦ : بل هو عام ؛ لألفاظ الحديث ؛ ففيها الكافر والفاجر والمشرك والمنافق .

* * *

الخاتمةُ

نسألُ اللهَ حُسْنهَا :

بعد أن عِشنا هذه الفترة الطويلةَ والرحلةَ الخطيرةَ داخلَ القبرِ - رؤيةً مِنَ الداخلِ - أسألُك حبيبي في اللّه ، أسألُك أخَا الموتِ بصدقٍ ، وأقسمُ عليكَ باللّه بعد أن قرأتَ الكتابَ :

ما شعورُك ؟ ما أحساسُك ؟ ما رأيُك ؟

أخي الحبيب :

أريدُكَ أن تندفعَ إلىٰ عملٍ . . لا يكفي التأثُّرُ .

إن هذه مصيبةُ الشبابِ في هذه الأيامِ ؛ يتأثر في الحالِ ، ويشكو سوءَ الحالِ ، ثم : لا عملَ . . لا حركةَ . . لا نتيجةَ .

نفس الشَّكاوىٰ سنينَ ، ونفسُ الأمراضِ ، وندورُ مع الشبابِ في دائرة مُفْرَغَةٍ .

أخي الحبيب:

هيَّا إلىٰ عملٍ، قمِ الآنَ فَزُرِ القبورَ، وقفْ متأملًا؛ خاطبها، واجعلْها تخاطبُك، وقد مَرَّ بكَ في ثنايا الكتابِ أطرافٌ من ذلك.

ابك .. ابْكِ هناكَ، واغسلْ قلبكَ بدموعِكَ، ثم تحركْ للَّه بصدقٍ وإخلاصٍ ورغبةٍ في الآخرة.

ازهدْ في الدنيا.

أَقْلِعْ عن المعاصي.

احفظ القرآنَ واتْلُهُ.

قَصِّرْ أملَكَ، واقطعْ عن الدنيا رجاءَكَ.

لا تغفلْ أبدًا عن ذكرِ اللَّه.

تعلَّمِ العلمَ الشرعيَّ، وكلما تعلمتَ مسألةً اعملْ بها.

لتكن لكَ خَبِيئةٌ من عملٍ صالحٍ لا يعلَمُها إلا اللَّه؛ تتوسلُ بها إليه.

لا يمرُّ يومٌ أبدًا إلا ولكَ قربةٌ جديدةٌ تتقربُ بها إلىٰ اللَّه.

أخي الحبيب :

اعمُرْ قبرَكَ اليومَ بالأعمالِ الصالحاتِ .

ونَوِّرْه اليومَ بالطيباتِ .

وأَوْسعْهُ بالقرباتِ .

ورَبِّ لنفسِك جليسًا ترضاه هناكَ .

هيَّا . . هيَّا . . اعملْ . . اعملْ .

فالموتُ قادمٌ قريبٌ .

والقبرُ أمامَكَ ، لا تجعله يفارقُ عينَكَ .

❊ ❊ ❊

صرخة قبل فوات الزمان

إخوتـاه ..

يا مَنْ يُدعىٰ إلىٰ نجاته فلا يجيب ، يا من قد رضي أن يخسر ويخيب ، إن أمرك طريف وحالك عجيب ، اذكر في زمان راحتك ساعةَ الوَجِيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

ويحك ! إن الحق حاضر ما يغيب ، تُحصىٰ عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب ، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدلُّ وما يخفي المريب ، اسمع : لابد لغربان الفراق من نعيب ، أنساكِنُ الغفلة ولغيرنا نهيب ، يا من سِلَعُهُ كلها مَعيب ، اذكر يوم الفزع والتأنيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

لابد – واللَّه – من فراق العيش الرطيب ، والتحاف البلىٰ مكان الطيب ، واعجبًا للذَّات بعد هذا كيف تطيب !

ويحك ! أحضر قلبك لوعظ الخطيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

تذكر مَنْ قد أصيب ، كيف نزل بهم يومٌ عصيب ، وانتبه لأحظِّ الحظ والنصيب ، واحترز ؛ فعليك شهيد ورقيب ، إذا حَلَّ الموت حَلَّ التركيب ، وتقلب مُقَلُ القلوب في قلب التقليب .

ستخرج – واللّه – من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفعك البكاء ولا النحيب ، لابد من يومٍ يتحير فيه الشبان والشِّيب ، ويَذْهَلُ فيه الطفل للهَوْلِ ويشيب ، يا مَنْ عمله كله رديء ، فَلَيْتَهُ قد شيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

كيف بك إذا أُحْضِرْتَ في حالٍ كئيب ، وعليك ذنوب أكثر من رمل كَثِيب ، والمهيمن الطالب والعظيم الحسيب ، فحينئذٍ يبتعد عنك الأهل والنَّسِيب ، النَّوْحُ أولىٰ بك يامغرور من التشبيب ، أتؤمن أم عندك تكذيب ، أم تراك تصبر علىٰ التعذيب ، كأنك بدمع العين ومائها قد أذيب ،

اقبل نصحي وأقبل علىٰ التربية والتهذيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

يامطالبًا بأعماله ، يامسئولًا عن أفعاله ، يامكتوبًا عليه جميعُ أقواله ، يامناقَشًا علىٰ كل أحواله ، نسيانك لهذا أمر عجيب ، أتسكن إلىٰ العافية ، وتساكِنُ العيشة الصافية ، وتظن أيمان الغرور واقية ، لابد من سهم مصيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

لو أحسنت الخلاص أحسنت ، لو آمنت بالعرض لتجملت وتزينت ، يامن قد انعجمت عليه الأمور لو سألت لتبينت ، ويحك ! أحضر قلبك ؛ إنما أنت في الدنيا غريب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

إلىٰ متىٰ أنت مع أغراضك ، متىٰ ينقضي زمان إعراضك ، يازمن البلىٰ متىٰ زمن إنهاضِكَ ، تاللّٰه ، لقد كع من أمراضك الطبيب ، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

يا من عمله بالنفاق مغشوش ، تتزين للناس كما يزين المنقوش ؛ إنما يُنظَرُ إلىٰ الباطن لا إلىٰ النقوش ، إذا

هممت بالمعاصي فاذكر يوم النُّعُوش ، وكيف تحمل إلىٰ قبر بالجَنْدَل مَفْروش ، من لك إذا جُمِعَ الإنس والجن والوحوش ، وقام العاصي مِنْ قبرهِ حيران مدهوش ، وهو مغلول مخشوش ، وجيء بالجبار العظيم ، فحينئذ يتضاءل المتكبر وتذل الرءوس ، ويومئذ يبصر الأكمه ويسمع الأطروش ، وينصب الصراط فكم واقع وكم مخدوش ، ليس بجادة يقطعها قاصلٌ ولا مرعوش ، ولا تقبل في ذلك اليوم فدية ولا تؤخذ الأروش ، والمتعوس حينئذٍ ليس بمنعوش ، وينقلب أهل النار في الأقذار والريح كالخشوش ، لحافهم جمر وكذلك الفروش ، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

يا من أركان إخلاصه واهية ، أما لك مِنْ عقلك ناهية ، إلىٰ متىٰ نفسك ساهية ، معجبة بالدنيا زاهية ، مفاخرة للإخوان مضاهية ، النار بين يديك وتكفي داهية ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠-١١].

تقوم من قبرك ضعيف الجاش ، وقد جأر قلبك في

بدنك وجاش، ووابل الدمع يسبق الرشاش، أتدري ما يلاقي العطاش الظامئة؟ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

أين من عتا وتجبر، أين من علا وتكبر، أين من للدول بالظلم دَبَّرَ، ماذا أعد للحضرة السامية، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

لو رأيت العاصي وقد شقي، يصيح في الموقف: «وَا قلقي»، اشتد عطشه وما سقي، وشَرَرُ النار إليه يرتقي، فمن يتقي تلك الرامية، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

لو رأيته يقاسي حرها، ويعاني ضرها، جحيمها وقرها، واللَّه لا يدفع اليوم شرها إلا عين هامية، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

يفر الولد من أبيه، والأخ من أخيه، وكل قريب من ذويه، أسمعت يا من معاصيه نامية: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

لهذا كان المتقون يقلقون، ويخافون ربهم ويشفقون، وكم جرت من عيون القوم عيون، كانت جفونهم دائمة دامية، من خوفهم من: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

أجارنا اللَّه بكرمه منها، ووفقنا لما ينجي عنها،

وجعلنا بفضله ممن قام بما يؤمر ، واجتنب ما عنه ينهىٰ ، فكم له من نعم سامية ، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ .

نُراعُ لذِكْرِ المَوْتِ ساعةَ ذِكْرِهِ
وتعترِضُ الدُّنيا فنلهو ونلعبُ

❋ ❋ ❋

يَسْعَىٰ الفتىٰ وخُيولُ المَوْتِ تطلبُهُ
وإن نَوَىٰ وَقْفَةً فالمَوتُ ما يَقِفُ

❋ ❋ ❋

نحن بنو المَوْتىٰ فما بالُنَا
نعافُ ما لابُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

❋ ❋ ❋

الفهرس

* * *